٢ / ١٠ / ١٩٦١

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

إلى الشباب فى المؤتمر الوطنى بجامعة القاهرة

■ **أيها الإخوة المواطنون.. أيها الإخوة:**

جئت اليوم لأشترك معكم فى هذا الاحتفال.. فى هذه اللحظات التى تواجه جمهوريتكم، جئت - أيها الشباب - لألتقى بكم، جئت لألتقى بكم؛ لأضع أمامكم مسئوليتكم، ولأقول لكم أين نحن الآن.. جئت - أيها الإخوة - حتى نتكلم، وحتى أتحدث معكم فى هذا الموقف الذى قابلناه. إن جيلنا - أيها الإخوة المواطنون - قاتل الاستعمار وقاتل الرجعية، وقاتل أعوان الاستعمار، جيلنا قاتل قتالاً مريراً طويلاً. وأنتم أيها الشباب.. أنتم الجيل الذى سيرفع أعلام النصر؛ لأن المعركة التى بدأها الآباء والأجداد، والمعركة التى اشتركنا فيها من أجل تحقيق الأهداف الكبرى، لابد أن تنتصر فى هذا الجيل.. لابد أن يكون نصركم فيها عالياً، ولابد أن ترفعوا أعلام النصر.

أيها الإخوة المواطنون:

لقد كافحنا ضد الاستعمار، وكافحنا ضد أعوان الاستعمار، وكافحنا ضد الرجعية، وكافحنا ضد الانتهازية، وكافحنا ضد السيطرة والاستغلال، وكانت المعركة ضد هؤلاء الأعداء جميعاً معركة كبرى، وكان لابد لنا أن ننتصر.. ولكنا فى نفس الوقت كنا نشعر أن لابد لنا من أن نقدم الضحايا؛ حتى نحصل

على النصر، لابد لنا من أن نقدم الدماء حتى نرفع أعلام النصر، لابد لجيلنا من أن يقاتل قتالاً مريراً عنيفاً؛ لأن القوى التى كنا نواجهها كانت قوى كبرى، كانت قوى لها من الإمكانيات الكثير، أما نحن فكانت إمكانياتنا تتلخص فى الإيمان بالله، والإيمان بالوطن، والإيمان بحقنا فى الحرية والحياة.

أيها الإخوة المواطنون:

أنا على ثقة بإذن الله وبعون الله (هتاف).. أيها الإخوة المواطنون.. لابد لجيلكم - بعون الله - من أن يرفع أعلام النصر. وأنا - أيها الإخوة - فى هذه اللحظات، لابد لى من أن أقول لكم إن القومية العربية أصيبت بنكسة، أصيبت بطعنة، أصيبت بصدمة، أصيبت بالخيانة. وعلينا - أيها الإخوة المواطنون - أن نعلم أن هذا من آثار الماضى البغيض.. آثار الاستعمار وآثار أعوان الاستعمار والاستغلال والتحكم. وعلينا - أيها الإخوة - ونحن نجابه هذه النكسة أن نقرر موقفنا، فقد تكون النكسة.. قد تكون النكسة التى قابلناها... قد تتحول هذه النكسة إلى كارثة. (هتاف).

أيها الإخوة:

لابد لنا أن نفهم موقفنا.. لازم نعرف احنا فين النهارده، لازم نعرف موقفنا إيه؟ احنا بنجابه موقف من أخطر المواقف اللى جابهتها القومية العربية، احنا نجابه نكسة وطعنة، احنا نجابه الخيانة، فى هذا الوقت قد تتحول النكسة إلى كارثة، وقد نتحول إلى الندم والأسى والأسف، وقد يدب بيننا اليأس، ولكنا أيضًا لابد أن نحول هذه النكسة إلى قوة دافعة إلى الأمام؛ للقضاء على الرجعية فى جميع أنحاء الأمة العربية. ولابد لنا - أيها الإخوة - لابد لنا أن نسلك هذا السبيل، لابد لهذه النكسة من أن تكون نقطة البداية لدفعة كبرى؛ للقضاء على الرجعية فى جميع أنحاء الأمة العربية.. وللقضاء على الخيانة فى جميع أنحاء الأمة العربية.

أيها الإخوة المواطنون:

هذا كان الحال فى الماضى؛ كنا فى الماضى نجابه الاستعمار وأعوان الاستعمار، من سنة ٥٢ - من أول ما قامت الثورة - واجهنا الاستعمار، وواجهنا أعوان الاستعمار، وواجهنا الرجعية والاستغلال، وكانت المعركة - أيها الإخوة - تنطلق فى جميع أنحاء الأمة العربية؛ من أجل التخلص من الاستعمار وأعوان الاستعمار.. ومن أجل التخلص من الرجعية.. وزيفت الشعارات، زيفت الأعلام؛ نورى السعيد كان بيرفع علم الوحدة العربية زى الانفصاليين الخونة النهارده فى دمشق ما بيرفعوا أعلام الوحدة العربية، ازاى ترفع أعلام الوحدة العربية والانفصالية؟! ازاى نصدق الكلام اللى بنسمعه النهارده من إذاعة دمشق؟! اللى بيقولوا إن احنا بنتجه إلى وحدة عربية ولكن على أساس سليم، وإن احنا بنتجه إلى تعزيز القومية العربية ولكن على أساس الند بالند، ازاى أى واحد عاقل يصدق هذا؟!

وهذه الحركة الخائنة إنما هى حركة انفصالية، ازاى نشوفهم بيعملوا عملية جراحية للوحدة، ويقطعوا الوحدة ويقطعوا أوصالها، ازاى نصدق بعد كده أما يقولوا إن احنا بنعمل للقومية العربية وبنعمل للوحدة العربية؟! ازاى أى واحد يصدق الكلام ده؟! ازاى نصدق إن الشركة الخماسية، الاستغلال، الاحتكار، سيطرة رأس المال، ديكتاتورية رأس المال أما تحكم وتقيم حكومة وتقول إنها عايزه تقيم اشتراكية، مين يصدق الكلام دا؟! ازاى رأس المال يقيم اشتراكية؟! ازاى الشركة الخماسية تقيم اشتراكية؟! ازاى أعوان الاستعمار يقيموا اشتراكية؟! ازاى المستغلين يقيموا اشتراكية؟! اللى بينادوا بالوحدة العربية.. من بيعاونهم اللى بينادوا بالوحدة العربية؟! إسرائيل، الأردن، تركيا، جواتيمالا، فرموزا "شانج كاى شيك". جواتيمالا طبعاً، شركة الفواكه المتحدة الاحتكارية فى جواتيمالا بتؤيد الشركة الخماسية الاحتكارية فى دمشق، الملك حسين، اللى خضع للاستعمار وأعوان الاستعمار، واللى ورث الخيانة دائماً (هتاف من الجماهير ضد الملك حسين) الملك حسين لمَّا بيؤيد هذه الحركة الانفصالية

الرجعية من أول وهلة، دا معناه إيه؟ إيه معنى هذا التأييد؟ معنى هذا التأييد أن الخط الذى تتخذه هذه الحركة الرجعية الانفصالية هو خط الملك حسين.

أما بنشوف هذا الكلام وبنشوف هذه الصور، بنرجع للماضى لشهر فبراير - شهر رمضان - أما الملك حسين بعث رسالة، وقال: إنه بيستوحى من شهر رمضان المبارك الكلام اللى بيكتبه فى الرسالة، وإنه تاب إلى الله، وإنه يعود إلى الحظيرة العربية، وإنه يطلب مهادنة عربية.

احنا صدقنا هذا الكلام، صدقنا هذا القول. وأنا - يا إخوانى - أما النهارده أقول لكم إن احنا خدعنا فى هذا الوقت.. أما أقول لكم: إن احنا خدعنا فى هذا الوقت، وإن أنا النهارده باتصور الأهداف والأغراض اللى كانت وراء هذه الرسالة، وإنها كانت أهداف خادعة، كانت أهداف الغرض منها الانقضاض على جمهوريتنا وعلى قوميتنا وتسليمها للاستعمار، أندم على أنى صدقت، ولكن المؤمن يخدع، كل مؤمن خدع، الصحابة فى أول الإسلام خدعوا، الأمة الإسلامية خدعت، ولكن النصر كان دائمًا للمؤمنين الذين استطاعوا أن يأخذوا من الدرس عظة وعبرة، ونحن - أيها الإخوة المواطنون - نأخذ من هذه الدروس عظة وعبرة.

أيها الإخوة المواطنون:

النهارده قبل ما آجى لكم، قبل ما آجى لكم النهارده.. إيه اللى سمعته؟ إيه أخبار سوريا؟ إيه أخبار حلب؟ إيه أخبار دمشق؟ إيه أخبار دير الزور؟ إيه اللى بيعمله الشعب السورى؟ قبل ما آجى سمعت فى القاهرة إذاعة بتقول اللحظة الحاسمة هى لحظة الوحدة، الشعب فى حلب والشعب فى دير الزور يكافح ويناضل فى هذه اللحظات الحاسمة؛ لإنقاذ وحدته وإنقاذ كيانه، وإنقاذ الجمهورية العربية المتحدة، أيها الإخوة هذه الإذاعة.. هذه الإذاعة مستمرة من الصبح؛ من أجل الوحدة، ومن أجل الجمهورية العربية المتحدة.

دا يا إخوانى.. دا الشعب السورى.. الشعب العربى السورى.. دا الجيش العربى السورى، من يوم الخميس لغاية النهارده فيه قتال فى حلب، فيه قتال فى دمشق، فيه قتال فى دير الزور، امبارح البنات فى حلب هجموا على الإذاعة، ولم يخفهم الرصاص، البنات فى حلب.. الفتيات.

دا شعبنا، دى أمتنا، احنا - أيها الإخوة - واجهنا حملة كبيرة من الافتراءات، واجهنا حملة كبيرة من التشويش، واجهنا حملة كبيرة منذ أول يوم من أيام الوحدة، من أول يوم قالوا الوحدة تسلط مصرى، من أول يوم قالوا الوحدة استعمار مصرى، أرادوا يفرقوا بين الأخ وأخوه.. أرادوا إنهم يحققوا هدفهم؛ لأن هدفهم كان دائماً أن تكون هناك أمة عربية مقسمة لا أمة عربية واحدة.

ولكن هل انطلى هذا الكلام على الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة؟ لم ينطل هذا الكلام أبداً.

قالوا إن السجون ملآنة بالمعتقلين.. قالوا إن فيه آلاف من المعتقلين.. قالوا إنه فيه حكم بوليسى. النهارده من يوم الخميس - بعد ٤ أيام النهارده - لم يعلنوا عدد المعتقلين فى سوريا، ليه؟! عدد المعتقلين فى سوريا كان ٩٥ معتقل، ٧٠ شيوعيين، و٢٥ قوميين سوريين، وبعض المرشديين، دول المعتقلين، ولهذا لم يعلنوا الأعداد، قالوا إن فيه آلاف مؤلفة. طبعاً لم يعلنوا؛ لأنهم وجدوا إن عدد المعتقلين أقل من ١٠٠. الشعب السورى ماكانش بيؤيد الوحدة بالمعتقلات. (هتاف للوحدة العربية).

أيها الإخوة:

أعداؤنا من أول يوم لم يقبلوا الوحدة؛ لأن الوحدة فرضها الشعب فرضًا رغم إرادة الاستعمار، لأول مرة الشعب العربى يخطط حدوده بنفسه، من أول يوم إسرائيل حاربت الوحدة، الرجعية العربية حاربت الوحدة، الاستعمار حارب الوحدة. قالوا إيه فى إذاعاتهم فى دمشق؟ قالت إيه الفئة الانفصالية الرجعية؟

قالوا الاقتصاد والتأميم أثروا على الحركة الاقتصادية.. التأميم! ما معنى التأميم؟ التأميم معناه القضاء على الاستغلال بكل معانيه، التأميم معناه أن ترد حقوق الشعب إلى الشعب، التأميم معناه إن إذا كان فيه ٥ بيملكوا ٥٠٠ مليون ليرة، الـ ٥٠٠ مليون ليرة بيبقوا ملك للشعب كله، التأميم معناه إن عمل العامل لايعود إلى المستغل أو الاحتكارى، ولكن يعود إلى العامل ويعود إلى الشعب.

إيه اللى كان موجود قبل الوحدة؟ وأنا اتكلمت فى شهر فبراير فى دمشق، إيه اللى كان موجود فى البنوك.. البنوك الأجنبية أو البنوك التى يتحكم فيها رأس المال؟ كانت تمول نفسها من أموال الشعب؛ من المصرف المركزى، من أموال الحكومة، كان الرأسمال ٢ مليون ليرة فى البنك ولكن البنك كان يدى سَلَفِيَّات ٢٠٠ مليون ليرة، ٣٠٠ مليون ليرة، من اللى بيدفع ده؟ الشعب. كان فيه استغلال، بيقولوا أبداً ماكانش فيه استغلال، دا الشعب السورى طبقة متوسطة، وأنا باقول بعد ما شُفْت الأحوال الاقتصادية فى سوريا، كانت هناك أبشع أنواع الاستغلال، وكانت هناك أبشع أنواع الاحتكار، كانت هناك الشركة الخماسية التى تمتص دم الشعب، وكانت هناك المصارف الأجنبية، والمصارف التى يسيطر عليها الاستغلال وتمتص أيضاً دم الشعب، وكانت هذه المصارف تعطى التمويل وتعطى السلفيات لفئة معينة من الناس، ولم يكن الشعب يحصل على حاجته من التمويل ومن السلفيات.

دى الأسباب اللى من أجلها أعلنا الاشتراكية، وقلنا معنى الاشتراكية أن تعود حقوق الشعب للشعب، لا استغلال ولا احتكار ولا سيطرة لرأس المال. وأنا قلت لكم – فى شهر فبراير وفى شهر يوليو الماضى – إن الرجعية ورأس المال ستحاول دائماً أن تجمع صفوفها وتنقض؛ لتستولى على الحكم؛ لأنها باستيلائها على الحكم إنما تحمى مصالحها، وتحمى قدرتها على الاستغلال، وتحمى قدرتها على السيطرة وعلى الاحتكار.. قلت هذا فى شهر يوليو، قلت لكم الكلام دا، وقلت يجب إن الشعب يتنبه، ويجب إن الجيش يتنبه؛ لأن هذا التأميم من أجل الجندى ومن أجل الصانع والعامل والموظف، ولأن الاشتراكية معناها أن نقضى

على سيطرة فئة قليلة من الناس، ونعطى حق الشعب للشعب، وأن يصبح الشعب هو المالك الحقيقى لكل بلده ولكل مقوماته.

وقلت لكم أيضاً – أيها الإخوة المواطنون – إن الحرية ليست كلمة تكتب فى الدساتير، والحرية ليست كلمة تنسخ فى القوانين، ولكن الحرية إذا كتبت فى الدساتير، وإذا نسخت فى القوانين، وكان هناك استغلال اقتصادى، وكان هناك احتكار، وكانت هناك سيطرة، وكان هناك تحكم.. فإن الاستغلال وديكتاتورية رأس المال تسلب هذه الحرية فى الحال.

وقلت أيضاً – أيها الإخوة المواطنون – إننا يجب أن نكافح من أجل الحرية السياسية، ومن أجل الحرية الاجتماعية، وقلت لكم أيضاً: ألا حرية سياسية بغير حرية اجتماعية؛ لأن رأس المال له قوة الأسلحة وقوة الدبابات، وقد رأيتم بأنفسكم – أيها الإخوة المواطنون – كيف استطاع رأس المال أن يتحول فى دمشق بفعل الخونة والمأجورين إلى أسلحة ودبابات.

ولكن الشعب – أيها الإخوة المواطنون – لا يمكن بأى حال من الأحوال.. الشعب الذى كافح؛ كافح فرنسا، وكافح كل أنواع الاستعمار، وقاتل دائماً.. الشعب العربى السورى.. شعب الجمهورية العربية المتحدة فى سوريا، لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يُمَكِّنَ الرجعية، أو أن يمكن الاستغلال؛ لأنه شعب واع.

وأنا – أيها الإخوة المواطنون – حينما كنت أستمع إلى البيانات، وحينما كنت أستمع إلى الإذاعات من دمشق فى هذه الأيام القلائل كنت أبتسم؛ لأنى أعرف الشعب العربى السورى.. أعرف أحاسيسه وأعرف وعيه، كنت أبتسم لأنهم كانوا يقولون فى إذاعة دمشق إنهم سيقيمون اشتراكية حقيقية، وهذه الاشتراكية الحقيقية التى تكلموا عنها قالوا ليس معنى الاشتراكية التأميم، ولكن معنى الاشتراكية السعادة والإحسان.

لا يمكن أن تكون الاشتراكية سعادة أو إحسان، وأنا أريد أن أفهم اشتراكيتهم بعد أن يعيدوا الشركة الخماسية إلى أصحابها، وبعد أن يعيدوا البنوك إلى الرأسمالية الاستغلالية المحتكرة التى تعاونت مع الاستعمار، كيف نسمى هذه اشتراكية؟! إنها رجعية، إنها نكسة رجعية، إنها طعنة فى قلب الشعب العربى فى كل بلد عربى، كيف أيها الإخوة المواطنون.. كيف يصدق أى فرد من الأفراد أن الإقطاع اشتراكية؟! وكيف يصدق أى فرد من الأفراد أن حكومة الرأسمالية... (هتاف لشعب واحد).

أيها الإخوة:

كيف يمكن أن نصدق هذه البيانات التى استمعنا إليها من إذاعة دمشق؟! والتى تقول للعامل: أيها العامل.. إن المكاسب التى حققتها فى وقت الوحدة سنحافظ لك عليها.. هذه المكاسب - أيها الإخوة المواطنون - أخذها العامل بكفاحه وكفاح شعبه، وأخذها الفلاح بكفاحه وكفاح شعبه.. هذه المكاسب - أيها الإخوة المواطنون - كانت قوانين وضعت، وكانت أنظمة أصدرت، فإذا ألغيت هذه القوانين وهذه الأنظمة، واستبدلت ببيانات من فئة رجعية استعمارية احتكارية، أو من الشركة الخماسية، أو من الإقطاع والرأسمالية وديكتاتورية رأس المال، فكيف يمكن لنا أن نصدق أن هذه المكاسب ستبقى؟!

لقد كافح الشعب من أجل هذه المكاسب طويلاً، ولكن حصل عليها.. حصل عليها بقوته.. حصل عليها بكفاحه.. حصل عليها بدمائه.. حصل عليها باندفاعه نحو الوحدة.

ونحن - أيها الإخوة المواطنون - حينما ننظر إلى كل هذا نقول: إن معركة الرجعية والاستعمار مع القومية العربية والاشتراكية ليست معركة جديدة علينا، ولكنها معركة قديمة.. معركة قديمة.. معركة طويلة.. معركة طويلة.. معركة بذلنا فيها الدماء.. معركة بذلنا فيها الأرواح، هذه المعركة قد بدأت، هذه المعركة لم تنته، هل يصدق أى فرد منكم - أيها الإخوة المواطنون - أن

الاستعمار وافق على هذه الوحدة؟! كلنا نعلم هذا من إذاعات الاستعمار، ومما كتب فى صحف الاستعمار، ومما كتب فى صحف أعوان الاستعمار. هل يصدق أى فرد منكم - أيها الإخوة المواطنون - أن إسرائيل قد وافقت على هذه الوحدة؟! أبدًا، كلنا نعلم الرعب الذى حل بإسرائيل منذ قامت الوحدة، كلنا نعلم كيف كان الجيش الأول الباسل يؤدب إسرائيل حينما ترفع رأسها، كلنا نعلم هذا، وكلنا نعلم أن إسرائيل كانت على ثقة من أنها إذا تحركت فى الشمال.. فإنها ستلاقى القوة من الشمال والجنوب، وإذا تحركت إلى الجنوب فإنها ستلاقى القوة من الجنوب ومن الشمال، كلنا نعلم أيها الإخوة المواطنون.. كلنا نعلم أن الرجعية لم توافق أبدًا على هذه الوحدة، ولكنها أرادت من هذه الوحدة أن تحقق لنفسها المكاسب، وأرادت من هذه الوحدة أن تحمى مصالحها، كلنا نعلم هذا - أيها الإخوة المواطنون - فمعركتنا معركة مستمرة طويلة.

فإذا كنا اليوم قد أصبنا بنكسة.. وإذا كنا اليوم قد أصبنا بصدمة.. وإذا كنا اليوم قد أصبنا بطعنة خائنة، فلا يمكن بأى حال من الأحوال أن يدب إلينا اليأس، بل يجب علينا أن نستعين بالله ونتجه إلى الأمام، ولتكن هذه - أيها الإخوة المواطنون - قوة جديدة تدفعنا إلى الانطلاق، ولتكن هذه - أيها الإخوة المواطنون - عِظةً لنا تدفعنا إلى الانطلاق. (هتاف).

أيها الإخوة المواطنون:

إننى... (هتاف طويل).

أيها الإخوة المواطنون.. فى هذه الأيام.. يوم الخميس يمكن كان من أصعب الأيام اللى الواحد قابلها فى حياته، فى لحظة من اللحظات المريرة اللى مرت عليه، يوم الخميس - بالليل يمكن الساعة ٢ أو الساعة ٣ - استمعت إلى محطة دمشق.. محطة دمشق - وكلنا نعلم ماذا كانت دائماً محطة دمشق - استمتعت إلى إذاعة محطة دمشق، ومَاكُنْتِش باصَدَّق اللى باسمعه، مش مصدق ودْنِى، محطة دمشق كانت بتذيع تمام زى محطة الملك حسين، وزى محطة إسرائيل.. تذيع الافتراءات وتذيع السباب وتذيع الاتهامات.

محطة دمشق كانت بتقول: إن عهد الوحدة كان عهد التحكم فى الحريات، عهد الطغيان، عهد كذا وكذا وكذا من السباب، أنا كنت باروح سوريا بانزل فى عربية مكشوفة فى وسط الشعب كله، ومَاكُنْتِشْ باخاف، ماكنتش باشعر أبداً بالخوف؛ لأنى كنت على ثقة من الله ومن الشعب السورى العربى اللى كافح دائماً من أجل حريته ومن أجل بلده، عمرى.. لم أصدق - أيها الإخوة - بأى حال من الأحوال الافتراءات اللى كانت الدوائر المعادية - الاستعمارية والرجعية العربية - بتقولها على الشعب السورى، أو بتقولها على الوحدة، أو بتقولها على الجيش الأول.

وأنا على ثقة - أيها الإخوة المواطنون - إن الجيش الأول غُرِرَ به، إن بعض ضباط وبعض الأفراد القلائل غرروا بباقى أفراد الجيش الأول، ولا يمكن أن أشعر إلا أن الجيش الأول هو الجيش الوطنى القوى، اللى بيعمل من أجل القومية العربية، واللى يعمل من أجل الوحدة العربية؛ لأنى شفت الجيش الأول وشفت أفراد الجيش الأول. قالوا: إن هذه الحركة الرجعية الانفصالية حتطلق الحريات وحتلغى الطوارئ إلى أخر الكلام اللى سمعناه.. وحتقضى على الطغيان اللى كان فى عهد عبد الناصر.

إيه اللى حصل؟ ١٦ ساعة منع تجول! ١٦ ساعة أو ١٢ ساعة منع تجول! هل هذه هى الحرية اللى اتكلموا عليها، اعتقالات؟! أنا أعرف أسامى اللى اعتقلوا وأعرف أسامى اللى ضُربوا؟ المواطنين الشرفاء اللى اعتقلوهم واللى ضربوهم واللى أهانوهم، اعتقالات ومنع تجول ثم اعتداء على الشعب اللى خرج يدافع عن كيانه وعن حقه فى الحرية والحياة، قتل للأفراد، اعتداء على الفتيات. (هتاف).

دى الحرية اللى اتكلموا عليها.. دى الحرية اللى بيتكلموا عليها.. دى الحرية اللى قالوا إنهم جايين يرجعوها.. دى الحرية اللى أعلنوها.. دى الحرية حسب مفهومهم: منع التجول، حبس الشعب كله فى سجن كبير، قفل المدارس، قفل الجامعات، الاعتداء على الشعب اللى خرج يعبر عن رأيه، الاعتداء على

الفتيات اللى خرجوا بشجاعة يعبروا عن رأيهم، الاعتداء على كل المحرمات وعلى كل المقدسات.

دى الحرية حسب مفهومهم. طبعاً دى حرية الرجعية، حرية الاستعمار، حرية أعوان الاستعمار.. دى الحرية اللى عايزاها الشركة الخماسية؛ علشان تسترد أموالها.. دى الحرية اللى عايزاها الاحتكارية والاستغلالية؛ علشان تمتص بها دماء الشعب.. دى الحرية اللى عايزها الإقطاع علشان يسيطر على رقاب الفلاح.

قالوا أيها الإخوة إيه؟ قالوا انهم حيطلعوا المصريين من هناك، المصريين اللى هناك كانوا من؟ من كانوا المصريين اللى هناك فى سوريا؟ كان فيه ضباط من المصريين فى سوريا، فيه ناس كانوا بيسألوا: أمال الضباط المصريين اللى كانوا فى سوريا راحوا فين يوم الحركة الرجعية الانفصالية؟ الضباط المصريين فى سوريا – يا إخوانى – كانوا فى الجبهة، كانوا فى خط القتال، كانوا على حدود إسرائيل، ماكانوش فى دمشق، ماكانوش فى حلب، كانوا بيؤدوا واجبهم، دول الضباط المصريين اللى كانوا فى المطارات، كانوا موجودين علشان يؤدوا ضريبة الدم لحماية الجمهورية العربية المتحدة، دول الضباط المصريين اللى راحو سوريا علشان يكون الجيش؛ جيش الجمهورية العربية المتحدة، كله وحدة واحدة ضد العدوان.

جم الضباط المصريين امبارح، جم بلبس الميدان؛ لأنهم جابوهم من الميدان – من الجبهة – وماكانوش الضباط المصريين اللى هناك يقدروا بأى حال من الأحوال أو يقبل ضميرهم انهم يتخلوا عن واجبهم، أو يتخلوا عن عملهم، أو يتخلوا عن الشعب العربى فى سوريا، ويتركوا الجبهة أو يتحركوا إلى دمشق، ماكانش دا شغلهم، شغلهم كان يقفوا على الجبهة. الضباط المصريين اللى موجودين فى سوريا كانوا فى الجبهة وفى خط النار، كل واحد كان موجود فى الجبهة وفى خط النار.. أخو أنور السادات موجود فى سوريا، وكان موجود فى الجبهة، وأما رُحْت مع أنور السادات السنة اللى فاتت فى دمشق بَعَتْ طلبه يوم

أجازة من الجبهة؛ علشان يشوفه، وعلشان يفطر معانا فى رمضان، ورجع بالليل راح الجبهة، وما شفتوش بعد كده، وما شافوش بعد كده.

كل الضباط المصريين كانوا موجودين فى الجبهة، أخويا أنا كان موجود هناك فى سلاح الطيران، ماكانش موجود فى دمشق، وأهل دمشق ماحَدِّشْ يعرف إن أخو جمال عبد الناصر اللى هو الملازم ثانى الطيار موجود، ليه؟ لأنه ماكانش فى دمشق، كان موجود فى سلاح الطيران، وكان كل ليلة بيقعد علشان ياخد الوردية بتاعته؛ علشان يكون على استعداد يطلع يقابل إسرائيل.

دول الضباط المصريين اللى راحوا فى الإقليم السورى، مين تانى من المصريين راح الإقليم السورى؟ راح مهندسين، ليه راح المهندسين؟ احنا هنا فى حاجة إلى مهندسين، ولكن بالنسبة لى أنا كان يجب أن آخذ المسئولية هنا وهناك، المهندسين اللى راحوا هناك علشان يكملوا المهندسين السوريين، مهندسين للبحث عن البترول، مهندسين للبحث عن المعادن، مهندسين لبناء المصانع، مهندسين للعمل فى كل الميادين. كان فيه دكاترة، أنا أمَّا رحت دير الزور قالوا مافيش دكاترة، مافيش طبيب عيون، راح طبيب من هنا مصرى – من الجيش – علشان يكون طبيب عيون، كانوا أطباء فى القرى، وفى القامشلى، وفى دير الزور، وفى كل مكان بيقاسوا، قاعدين فى القرى من أجل تأدية واجبهم الكبير، ومن أجل تأدية واجبهم نحو شعب جمهوريتهم. وكنت أما باشوفهم وأنا بأجول فى أنحاء سوريا كانوا بيقولوا لى احنا هنا بنتعلم اللهجة السورية، احنا سعداء، احنا هنا فى القرى ولكنا سعداء، كانوا بيقولوا لى ازاى الشعب بيعاملهم، ازاى الشعب بيرحب بهم، كنت باشعر بهذا الإحساس فى كل مكان، فى كل قرية رحتها.

من سنتين أما تعطلنا فى العاصفة الثلجية فى الطريق بين حلب وبين دمشق، شفت أطباء مصريين فى القرى اللى فى الطريق، دول المصريين اللى راحوا هناك، بيقولوا: لأ، دول المصريين راحوا علشان المصريين احتكاريين، المصريين راحوا علشان يستغلوا الاقتصاد السورى، أنا بدِّى أفهم مصرى واحد

راح سوريا علشان يتاجر، بدى أفهم مصرى واحد راح سوريا علشان يستغل، كل مصرى راح هناك راح علشان يخدم، علشان يضحى.

وكان هذا ضرورى؛ حتى ندفع التطور فى الإقليم السورى ونقيم الصناعة الأساسية.. الصناعة اللى فى الإقليم السورى هى صناعة صغيرة استهلاكية، كنا بنتجه إلى بناء صناعة أساسية، وفى التأميم، اللى أمم من سوريا ١٥ شركة، اللى أمم هنا فى مصر حوالى ٣٠٠ شركة، ليه؟ كنا عايزين نبنى مصنع حديد، ونبنى مصانع عربات، ونبنى هذه البلد، كان لازم ناخد مهندسين من مصر وعلى حساب مصر، وكان لازم ناخد أطباء من هنا وعلى حساب هنا.

ولكن أنا كنت أشعر إن مافيش فرق بين مصر وبين سوريا، مافيش فرق بأى حال من الأحوال.. أما التجار السوريين فاتحين هنا مثلاً محلات، مافيش تاجر مصرى راح هناك، لكن أنا كنت باقول: إن التاجر السورى أما بيفتح تجارة هنا هو أبدى من أى تاجر أجنبى، وهو كالمصرى، وهو حيبنى اقتصادنا فى القاهرة وفى الإسكندرية، فى رأس البر، فى دمياط، وسيبقى هؤلاء التجار مواطنين فى الجمهورية العربية المتحدة؛ لأن الجمهورية العربية المتحدة بلدهم، سيبقى كل سورى مواطن فى هذه الجمهورية العربية المتحدة.

قالوا الاحتكارات المصرية رايحة تسيطر على الاقتصاد السورى، فين هى الاحتكارات المصرية؟ فين هى الاحتكارات المصرية؟ مافيش احتكارات مصرية بأى حال من الأحوال، لا فى مصر ولا فى سوريا.. فيه بس الشركة الخماسية والاحتكارات الرجعية اللى موجودة فى سوريا.

أيها الإخوة المواطنون:

حاربتنا الرجعية وحاربنا الاستعمار، وخدعتنا الرجعية، باعترف إن أنا خدعت فى رسالة الملك حسين، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، كفاية لدغنا مرة.

فيا إخوانى.. يا إخوانى قابلنا كل هذا، قابلناه بصبر، وقلنا: إن احنا عايزين نقيم وحدة وطنية، ولكن هل قبلت الرجعية بالوحدة الوطنية؟ لم تقبل الرجعية بالوحدة الوطنية، هل قبلت الرجعية العربية بالوحدة الوطنية؟ لم تقبل أبدًا بالوحدة الوطنية، هل قبل أعوان الاستعمار الوحدة الوطنية؟ لم يقبلوا بالوحدة الوطنية، هل قبلوا بالوحدة العربية؟ من أول يوم بدأ الاستعمار ونورى السعيد وحسين – الملك حسين – بدأوا يعملوا إيه؟ الاتحاد العربى – اللى عملوه من العراق والأردن – علشان يجابهوا به الجمهورية العربية المتحدة، وعلشان يقفوا.. وقالوا إن دا الغرض من هذا ... (الجماهير تهتف ضد الملك حسين معلقة طالع لأمه.... والرئيس يعلق قائلاً:)

خلونى أجيب سيرة الملك حسين؛ لأن أنا مش عايز السيرة التانية، أنا عايز أتكلم جد، فبَلاش بَقَى التعليق دا علشان تِخلُّونى أتكلم عنه بصراحة ووضوح، وأقول لكم إيه هو، المواضيع التانية دى بنخليها فى رأسنا وفى عقلنا، مافيش داعى نتكلم فيها هنا.

أيها الإخوة:

فى سنة ٥٨ بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة بهذه السرعة، وبعد إجماع الشعب العربى فى سوريا والشعب العربى فى مصر على قيام الجمهورية العربية المتحدة، بدأ الاستعمار يَتَخَبَّطْ؛ أقاموا الاتحاد العربى من نورى السعيد ومن الملك حسين؛ علشان يقفوا ند للجمهورية العربية المتحدة، ولكن الشعب العربى فى العراق قام وهدم هذا الاتحاد؛ لأنه يؤمن من كل نفسه أن لا وحدة ولا اتحاد فى خدمة الاستعمار وأعوان الاستعمار، بل لابد أن تكون الوحدة أو الاتحاد فى خدمة الشعب العربى والقومية العربية. وبهذا سقطت هذه الوحدة المزيفة، وسقط هذا الاتحاد العربى الزائف.

بعد كده، هل سكت الاستعمار؟ هل سكتت الرجعية؟ هل سكتت الاحتكارية؟ هل سكت الاستغلال؟ مَا سِكْتُوش، وساروا حتى أصبنا بهذه النكسة.

النهارده – يا إخوانى – واحنا بنتكلم على دور أعدائنا، وعلى دور أعدائنا فى هذه النكسة، لابد أن يكون لنا من الشجاعة ما يدفعنا إلى أن نتكلم عن أخطائنا، احنا أيضاً أخطأنا، احنا أخطأنا أخطاء متعددة.. وإلا ماكناش وصلنا إلى هذه النتيجة.. أخطأنا أولاً فى أننا آمنا إلى الرجعية وخدعنا بالرجعية، واعتقدنا أن الرجعية قد يمكن أن تستكين.. أخطأنا أيضاً فى إن احنا هادنا الرجعية العربية، وإن احنا خدعنا بكلام الملك حسين وجواب الملك حسين، واعتقدنا انهم تابوا وانهم بيتجهوا إلى هدنة عربية، وإلى جمع الصف، وإلى جمع الشمل. ولكنا اليوم نأخذ من هذا درس وعبرة.

خدعنا أيضاً أيها الإخوة المواطنون.. غلطنا أيضاً فى إيه؟ فى ٥٦ اجتمعت العناصر الوطنية فى سوريا كلها وكافحت وقاتلت من أجل قيام الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة، ولكن بعد قيام الوحدة أخذنا الغرور جميعاً، واعتبرنا أن الأمر قد استتب لنا، فبدأت الخلافات بين هذه الجبهة الوطنية، وبدأ التفتت فى الجبهة الوطنية، العناصر الوطنية فى سوريا، بدأت الخلافات ليه؟ لأن الغرور أخذنا واعتقدنا أن الكفاح من أجل القومية العربية انتهى، وبدأ الكفاح من أجل الحكم أو من أجل السلطة أو من أجل السلطان، كان هذا أكبر غلط، كلنا غلطنا فى هذا، فيه حاجات غلطنا فيها.. بهذا تَفَكَّكَت العناصر الوطنية، وبهذا تجمعت العناصر الرجعية، وبهذا – أيها الإخوة – بهذا واجهنا هذه النكسة.

فلنأخذ من هذه الدروس عظة وعبرة.. فلنأخذ من هذه الدروس عظة وعبرة، ولنتجه إلى المستقبل ونحن نعرف ما قام به أعداؤنا ضدنا، ونحن نعرف أيضاً الأخطاء اللى احنا عملناها، فى نفس الوقت هذه النكسة لن تكون هزيمة بأى حال من الأحوال. (هتاف ضد الملك حسين).

أيها الإخوة:

بنأخذ من الدروس دى عظه وعبرة، أنا لا يمكن بأى حال من الأحوال أن أصدق إن الجيش الأول رجعى، أو أصدق إن الجيش الأول ينساق ضد القومية

العربية. ولكن أعتقد أن هناك من غَرَّرَ ببعض الناس، ويمكن بعض الناس دول خايفين يتراجعوا، ولكن أيضاً هناك بعض الناس اشترتهم الرجعية، هناك بعض الناس اشترتهم الشركة الخماسية، هناك بعض الناس اشتراهم ديكتاتورية رأس المال.

ولكن كل فرد بيتجه إلى ضميره، وبيتجه إلى وطنه، ويتجه إلى شعبه، كل فرد لابد حيفهم وحيعرف إيه الموقف.. وما هو الواجب الذى يتحتم عليه.. كل فرد من أبناء الجيش الأول لن يمكن أن يكون سلاح الرجعية، أو سلاح الاستعمار، أو سلاح الملك حسين، أو سلاح إسرائيل، أبدًا، هم دايمًا سلاح القومية العربية وسلاح الوحدة العربية، هم دايمًا سلاح الجمهورية العربية المتحدة القوى.

أيها الإخوة:

فيه أخطاء شفناها، النهارده لن تكون هذه النكسة كارثة وعامل من عوامل اليأس، ولكن هذه النكسة هى نقطة بدء؛ من أجل التحرك الكامل، التحرك الكامل بكل قوانا ضد الرجعية، وضد الاستغلال وضد الاستعمار.. ومن أجل إقامة العدالة الاجتماعية؛ من أجل حماية الاشتراكية، ومن أجل حماية القومية العربية.

إن علينا – أيها الإخوة – واجب كبير نحو المستقبل، وأنتم الجنود الذين سترفعون الأعلام من أجل تحقيق هذا الواجب. علينا أن نتسلح بالشجاعة، الشجاعة نحو الأعداء، والشجاعة تجاه أنفسنا؛ حتى يحقق الله أملنا. والله يوفقكم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٦١/١٠/٥

بيان الرئيس جمال عبد الناصر

بشأن الانفصال عن سوريا

■ **الإخوة فى جميع أرجاء الوطن العربى:**

هذه أول مرة أسمح فيها لنفسى أن أوجه الخطاب إليكم جميعاً على هذا النحو الرسمى، ولكنى أشعر أن من حقكم على، ومن واجبى حيالكم أن أطلعكم على فكرى، وأن أفتح أمامكم قلبى فى هذه اللحظات الحاسمة من نضال الأمة العربية ومن كفاحها فى سبيل مثلها الأعلى فى الوحدة والحرية.

إننى لا أوجه هذا الحديث إلى شعب الجمهورية العربية المتحدة؛ لأنى أعتبر أن الساعات التى نعيشها الآن ليست ملكنا وحدنا؛ إنما ملك تاريخ سبق، وملك حاضر يبنيه الدم والعرق، وملك مستقبل نحاول تحريكه فى ضمير الغيب، إنها ملك نضال قديم مستمر باق إلى الأبد؛ من أجل هذه الأمة العربية ومن أجل عزتها. لهذا أريدكم جميعاً أن تكونوا معنا، وأن تعيرونا كل الفكر الواعى منكم والاهتمام.

أيها الإخوة:

لقد وقع فى سوريا ما تعرفون جميعاً، تعرفون ما حدث بالأمس وتعرفون ما يحدث اليوم، وإذا كنت أقول لكم إننى أتابع تطورات الحوادث بقلب جريح؛ فإننى أقول لكم فى نفس الوقت إن ما يشغل بالى ليس ما حدث حتى الآن، وإنما

يشغل بالى أكثر منه ما يمكن أن يتداعى وراء ذلك من أخطار على الأمة العربية وعلى كيانها وعلى مستقبلها.

وأقول لكم الآن إننى أكاد أرى الأمة العربية مُقْدِمةً على محْنة رهيبة، وأشعر أن واجبى يحتم على أن أفعل كل ما فى وسعى كى أجنب الأمة العربية هذه المحنة؛ لكى يبقى لها دائماً تنبهها إلى الأخطار المحيطة بها، وقدرتها على النضال من أجل أهدافها، لا يشغلها عن ذلك شىء، ولا يشد اهتمامها منه أى اعتبار مرحلى مؤقت.

وإنى لأقول لكم جميعاً - بضمير راض وقلب مستريح - إننى لا أقبل مهما كانت الظروف أن أرى الشعب هنا والشعب فى سوريا أطراف معركة وأصحاب خلاف وشقاق، لا أستطيع أن أتصور القاهرة ودمشق إلا إخوة كفاح، وإلا زملاء معركة، وإلا شركاء قدر ومصير مع كل عاصمة عربية أخرى، مع كل مدينة عربية، مع كل قرية عربية. ولقد شعرت خلال الأيام الأخيرة أن ما حدث كله قد فتح فرصة واسعة أمام أعداء الأمة العربية من قوى الاستعمار ومن أعوانه، ومن قوى الرجعية فى المنطقة وأعداء تقدم الشعوب، ولقد رأيت رأى العين فرحتهم جميعاً بهذه الفرصة التى تفتحت أمامهم، ورأيت تأهبهم للاستفادة منها لمصالحهم وعلى حساب المصلحة العربية.

لقد أحسست أنهم يريدونها معركة تقتتل فيها عناصر من أبناء الشعب السورى مع بعضها، معركة تقع فيها الفتنة بين الشعب العربى فى سوريا وبين الشعب العربى فى مصر، معركة تقع فيها شعوب الأمة العربية فى حيرة تتوه بعدها فى الظلام.. ذلك كله كان أمامى، وكان أمامى أيضاً واجبى تجاه الأمة العربية وتجاه المصير العربى، وإنكم لتعرفون أننى اتخذت منذ أيام قراراً بألا تتحول الوحدة العربية بين مصر وسوريا إلى عملية عسكرية، وبناءً على ذلك فلقد أوقفت جميع العمليات العسكرية، التى كانت قد بدأت لمناصرة الجموع الشعبية الثائرة، ضد الحركة الانفصالية فى سوريا.

واليوم أعلن إليكم جميعاً أننى إذا كنت قد رفضت أن تكون الحرب العسكرية وسيلة إلى تدعيم الوحدة؛ فإننى أرفض الآن أن تكون الحرب الأهلية بديلاً لذلك، ولعلكم تذكرون أن الإجماع الكامل كان من شروطى الأساسية لقبول قيام الوحدة بين مصر وسوريا، فى فبراير سنة ١٩٥٨.

وإنى اليوم لا أرضى بأن تبقى وحدات من الجيش السورى متربصة بالشعب، ولا أن تبقى جموع من الشعب متربصة بعناصر من الجيش السورى.

إن الجيش السورى يتحمل مسئوليات كبرى تجاه العدو المشترك للأمة العربية، ولن أقبل – مهما كان من تصرفات الآخرين، ومن أخطائهم بل خياناتهم – أن تتحول مهمة الجيش السورى إلى عمل بوليسى.

أيها الإخوة فى جميع أرجاء الوطن العربى:

إنكم تعرفون أننى داعية وحدة، وإنكم تعرفون موقفى عندما فرضت الإرادة الشعبية السورية الحرة هذه الوحدة الشاملة فى فبراير سنة ١٩٥٨.. أنتم تعرفون أنه كان من رأيى أن الوحدة – خصوصاً فى فترات البناء الوطنى – عملية شاقة ومرهقة، وكان من رأيى التمهيد لها تدريجيًا على سنوات، نتمكن خلالها من أن نضع الأسس الحقيقية لها قبل أن نقيم إطارها الدستورى، ولكنى نزلت على الإرادة الشعبية السورية، وكنت أشعر فى أعماقى أننى بهذا أحمى الوطنية السورية، وأشارك فى إنقاذ الوطن السورى مما كان يتهدده من أخطار الفرقة الداخلية، وفى مواجهة ضغط القوى الاستعمارية.

ولقد أحسست بعد إتمام الإطار الدستورى للوحدة أنه ليس أمامنا وقت نضيعه، لهذا فقد كرست جهدى كله لعمليات البناء فى سوريا، وكان تقديرى أن نمضى فى ذلك بأسرع ما نطيق لكى يكون هناك أساس للتقدم نحو الرخاء. ولقد تمت خلال ثلاث سنوات ونصف من الوحدة أعمال حقيقية لم تشهدها سوريا فى كل تاريخها، أقول ذلك لا لكى أتفاخر به أو أتباهى، وإنما أقوله كأمر واقع تشهد به الأرقام وتؤكد به قدرة الشعب السورى على بناء نفسه إذا ما أتيحت له

الفرصة لتركيز جهوده وإحسان توجيهها. فى هذه السنوات الثلاث والنصف حاولنا بكل جهدنا توجيه الشعب السورى إلى تكريس جميع إمكانياته، فى اتجاه البناء؛ بناء الوطن وبناء المواطن.

فى مجال بناء الوطن، بلغ مجموع الإنفاق العام الفعلى بواسطة الدولة فى سوريا من يوم إتمام الوحدة إلى نهاية السنة المالية الحالية ٢٨٦٢ مليون ليرة، بينها ٥٥ مليون ليرة فى الزراعة، و٢٣٨ مليون ليرة فى الرى واستصلاح الأراضى، و١١٤ مليون ليرة فى الصناعة والكهرباء، و٢٢٠ مليون ليرة فى النقل والمواصلات، و٣٨ مليون ليرة للإسكان، و٣٦٢ مليون ليرة فى التعليم، و٧٧ مليون ليرة فى الصحة، و٢٧ مليون ليرة للخدمات الاجتماعية، و١٩ مليون ليرة للخدمات الثقافية، و١٥٥ مليون ليرة فى المرافق والبلديات، وبعد ذلك تجيء الاعتمادات التى خصصت للدفاع.

وفى مجال بناء الوطن، كان برنامج هذا العام، وهو السنة الثانية من خطة السنوات الخمس، يقتضى توجيه ٦١٠ مليون ليرة للتنمية، بينها ٨٢ مليون ليرة للرى وإصلاح الأراضى، و٦١ مليون ليرة للزراعة، و١٨٠ مليون ليرة لصناعة التعدين والبترول والكهرباء، و٧٨ مليون ليرة للنقل والمواصلات، و٢٤ مليون ليرة للتعليم، و٨ مليون ليرة للصحة، و٤ مليون ليرة للخدمات الاجتماعية والعمالية، و٩ مليون ليرة للخدمات الثقافية، و٥٧ مليون ليرة للمرافق العامة والسياحة والبلديات، و٦٥ مليون ليرة للإسكان، و٧ مليون ليرة لخدمات الإدارة العامة، و٥ مليون ليرة للقطاع التجارى والمالى، و١٥ مليون ليرة للتغيير فى المخزون، و١٠ مليون ليرة احتياطى لمواجهة أى نقص.

وفى مجال بناء الوطن كانت هناك خطة تستهدف مضاعفة الدخل القومى السورى فى ١٠ سنوات أو أقل، وكانت هذه الخطة بالنسبة للسنوات الخمس الأولى منها توجه للنواحى الإنتاجية ونواحى الخدمات، وحدها ما قيمته الإجمالية ٢٧٢٠ مليون ليرة؛ ومن أبرز مشروعات هذه الفترة مشروع سد الفرات العظيم.

وفى مجال بناء المواطن الحر، فى مجال تحرير لقمة العيش، فى مجال رفع السيطرة الرأسمالية والاحتكارية عن الفرد السورى تمت الخطوات الثورية الاشتراكية التالية، وأصبحت لها قوة القانون، بعد أن كانت آمالاً بعيدة تراود أحلام الفلاحين والعمال فى أمتنا العربية.

تم تنفيذ قانون للإصلاح الزراعى يبغى تحرير الفلاح، وبمقتضاه أصبح أجير الأرض سيداً، وبدأ توزيع ٥٦١ ألف و١٣٣ هكتاراً على الآلاف من الملاك الجدد.

تم نقل ملكية المصارف إلى الشعب ليكون المال أداة فى خدمة الوطن، ولايتحول الوطن إلى أداة فى خدمة المال. تم نقل ملكية شركات الاحتكار إلى الشعب؛ لكى يقف استغلال فئة قليلة من أفراده لسواده الأعظم، واستئثارهم وحدهم بأكبر قسط من الدخل القومى. تقرر أن يكون للعمال والموظفين فى جميع الشركات ربع أرباحها، وأن يكون لهم حق الاشتراك فى إدارة المؤسسات التى يعملون فيها بعضوين يجرى انتخابهما فى مجلس الإدارة.

ومن ناحية أخرى.. من ناحية التأثير العربى والدولى، فلقد كانت هذه السنوات الثلاثة والنصف سنوات مارس الشعب السورى فيها قوة ضخمة لنصرة النضال العربى؛ من سوريا اتخذنا جميع الإجراءات لمناصرة الثورة الوطنية فى العراق، هذه الثورة التى أسقطت حلف بغداد وقوضت قوائمه، ومن سوريا تمكنا من التأثير فى اتجاهات الحوادث فى العالم العربى تأثيراً بنَّاءً ومستمرًّا.

ومن سوريا استطاع الجيش السورى - بينما الجيش المصرى محتشد بكامل قواه على خط القتال - أن يمنع إسرائيل من إتمام تحويل مجرى نهر الأردن، وفى سبيل الحيلولة دون ذلك، خاض ضباط الجيش السورى وجنوده معارك محلية ولكنها ناجحة ضد اسرائيل.. وفيها وخلالها أدرك العدو أن المضى فى المحاولة سوف يجر عليه أخطاراً فادحة.

كذلك مارست سوريا تأثيراً كبيراً على سير حركة التحرير فى إفريقيا وفى صد المحاولات الإسرائيلية، للتسلل من وراء الحصار العربى عليها وفتح إفريقيا على مصراعيها أمام تجارتها وأمام نشاطها الهدام، وكانت الذروة فى ذلك هى مؤتمر الدار البيضاء، الذى أجمعت فيه دول إفريقيا المتحررة على أن إسرائيل أداة فى يد الاستعمار الجديد، ورأس جسر لمطامعه.

كذلك مارست سوريا تأثيراً واضحاً فى تغليب قوى السلام ودفع ويلات الحرب عن البشر، وليس دور الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر الدول غير المنحازة فى بلجراد ببعيد.

ذلك كله – أيها الإخوة أبناء الأمة العربية – حدث، وإنى راض به وسعيد، وأعتقد أنكم جميعاً ترون معى أن هذه كلها كانت نقط تحول بارزة فى سير المواطن العربى، نحو هدفه فى الكفاية والعدل، والحق والسلام.

ثم كانت الظروف الأخيرة التى تعرفونها جميعاً، والتى ترون كما أرى أنها محنة رهيبة تهدد الأمة العربية، تبعثر قواها عن مواجهة عدوها الحقيقى؛ الاستعمار والرجعية المتعاونة معه.

أيها الإخوة فى جميع أرجاء الوطن العربى:

إننى أشعر فى هذه اللحظات أنه ليس من المحتم أن تبقى سوريا قطعة من الجمهورية العربية المتحدة، ولكن من المحتم أن تبقى سوريا.. إننى أشعر أن الذى يشغل بالى ليس هو أن أكون رئيساً للشعب العربى فى سوريا، ولكن الذى يشغل بالى هو أن يكون الشعب العربى فى سوريا وأن يُصان له كيانه، ولست أتصور أن أقبل بأى حال من الأحوال أن أرى فتنة تهدد الشعب السورى، أو خطراً يتربص به، أو شاغلاً يشده ويبعثر طاقته عن أن تتجه بكل إمكانياتها إلى حراسة المكاسب الشعبية التى حققها فى عهد الوحدة، ثم يجد أن ما فى يده يسلب منه يوماً بعد يوم، بينما هو مشغول بقضية فرعية مؤقتة سوف تحسمها فى نهاية المطاف حتمية التاريخ؛ وأعنى بها الوحدة.

لهذا فإنى الآن على مسمع منكم جميعاً يا أبناء الأمة العربية، أعلن ما يلى:

أولاً: إننى أطلب إلى جميع القوى الشعبية المتمسكة بالجمهورية العربية المتحدة وبالوحدة العربية أن تدرك الآن أن الوحدة الوطنية داخل الوطن السورى تحتل المكانة الأولى، إن قوة سوريا قوة للأمة العربية، وعزة سوريا عزة للمستقبل العربى، والوحدة الوطنية فى سوريا دعامة للوحدة العربية، وتمهيد حقيقى لأسبابها.

ثانياً: لقد بعثت الآن إلى رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة الدائم، لدى الأمم المتحدة بألا يقف فى وجه طلب قبول سوريا عضواً فى الأمم المتحدة، ولقد مر الآن أكثر من أسبوع على ما حدث فى دمشق، ولم تستطع الحركة التى قامت هناك أن تحصل على أى اعتراف دولى بها.. لم تعترف بما حدث فى سوريا حتى الآن إلا خمس دول - وأسميها بالدول تجاوزاً - وهى بقايا الأسرة الخائنة للتاريخ العربى فى عَمّان، وحكومة "تشان كاى تشك" المطرودة من الصين إلى فرموزا، والحكومة العسكرية الفاشية فى تركيا، وحكومة شركة الفواكه الأمريكية المتحدة فى جواتيمالا، وحكومة أصدقاء إسرائيل فى طهران.

وفى نفس الوقت، فإن العالم المتحرر قد عَبَّرَ لى بحركات شعوبه وبرسائل زعمائه عن تأييده للجمهورية العربية، وإنى أعتبر أن ذلك يكفى فلست أريد أن أقيم حصاراً سياسيًّا أو دبلوماسيًّا من حول سوريا، فإن الشعب السورى فى النهاية سوف يكون هو الذى يعانى من هذا الحصار ويقاسى.

ثالثاً: لقد طلبت إلى وزارة الخارجية ألا تقف الجمهورية العربية المتحدة حائلاً دون عضوية سوريا فى الجامعة العربية، ولسوف نطلب إلى الجامعة العربية أن تشكل على الفور لجنة تحقق فيما يلى:

١- أن تتحقق من أن كل احتياطى الذهب وغطاء العملة السورية، كما كان قبل الوحدة موجود بكامله فى البنك المركزى فى دمشق، وتتأكد أيضاً

من أن الخزينة السورية تلقت نقداً من الخزينة المصرية غداة إتمام الوحدة ١٣,٥ مليون ليرة سورية؛ لمواجهة عجز الميزانية السورية فى السنة السابقة للوحدة، وتتأكد كذلك من أن الإقليم المصرى كان يقدم كل سنة ما قيمته ٣ مليون جنيه للإقليم السورى؛ تمكيناً له من مواجهة أعباء البناء، كذلك قدم الإقليم المصرى خلال فتره الوحدة تحويلات نقدية قيمتها ٩ مليون جنيه إسترلينى؛ لكى يتمكن الإقليم السورى من مواجهة مطالب الاستيراد.

ولقد كنت اعتبر أن للشعب السورى حقًا فى حصيلة دخل قناة السويس باعتباره شريكاً فى معركة تأميمها وانتزاعها من المستعمر.

كذلك أريد لهذه اللجنة أن تتأكد أن إتمام الوحدة جعل الإقليم السورى يتمكن من تخفيض أعبائه العسكرية للدفاع بأربعين مليون ليرة سورية كل سنة؛ بسبب تغيير الموقف الإستراتيجى الناشئ من الوحدة، وبالتالى كان هذا المبلغ يوجه إلى نواحى الإنتاج والخدمات، بينما كانت القدرة الدفاعية للقوات المسلحة السورية أكثر كفاية وفاعلية.

٢- أن تتحقق اللجنة من أنه برغم جميع الدعايات التى روجت لها القوى الاستعمارية والعناصر الرجعية المتعاونة معها، فإن عدد المعتقلين فى سوريا كلها لم يكن يتجاوز ٩٥ شخصاً، بل إنى أريد لهذه اللجنة المشكلة من الجامعة العربية أن تتأكد من أننى أمرت بحفظ عديد من قضايا التآمر على الوطن السورى؛ لكى أبقى لهذا الوطن وحدته، ولسوف يتضح جلياً أن بعض الذين يقودون التيار الانفصالى الرجعى كان يجب أن يكونوا اليوم فى قفص الاتهام.

٣- أن تتحقق هذه اللجنة من أن قوة المظلات التى هبطت فى اللاذقية مساء يوم الخميس ٢٨ سبتمبر كانت تحمل تعليمات بعدم إطلاق النار، ولم يكن معها ملايين الليرات المزيفة كما ادعت عناصر الانفصال، وإنما كان الذى يحمله أفرادها هو بضعة آلاف من الليرات، وأنها لم تكن

ليرات مزيفة طبعت فى القاهرة كما ادعوا، وإنما كانت ليرات سورية صحيحة.

٤- أن تتحقق هذه اللجنة من طبيعة الأعمال، التى كان يقوم بها أبناء الإقليم المصرى فى سوريا، وأن تتحقق من أننا أردنا أن نزيد عدد المدرسين والمهندسين والأطباء فى سوريا بالدرجة الأولى؛ وذلك لكى نسارع فى دفع عملية التطوير، وإن أحداً منهم لم يذهب ليستغل ولم يذهب ليفتح تجارة ولم يذهب ليجنى ربحاً، وإنما ذهبوا جميعاً ليخدموا بقدر مايملكون من جهد للخدمة، وفوق ذلك كان الإقليم المصرى هو الذى يتحمل مرتباتهم.

أيها الإخوة:

على أنى أرجو أن تقبلوا بصدر رحب، بعد ذلك رأينا فى نقطة أخيرة؛ تلك هى أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لن تقبل الاعتراف بأى حكومة فى دمشق من جانبها، إلا بعد أن تتجلى إرادة شعبية سورية حرة تقرر بنفسها طريقها.

أيها الإخوة:

لا يفوتنى فى هذه اللحظة أن أوجه شكرى العميق وشكر الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة على العواطف النبيلة، التى أبداها الشعب اللبنانى وحكومته تجاه أبناء الجمهورية العربية المتحدة، الذين أخرجوا من سوريا بطريقة لا أملك الكلمات لوصفها، وإن كان يعزينى عنها ويعزى الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة أن الشعب السورى ودع بدموعه كل أبناء الجمهورية العربية المتحدة العائدين إليها، بعد أن أخرجوا من سوريا.

كذلك لا يفوتنى أن أوجه شكرى العميق وشكر الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة إلى جميع الشعوب العربية، التى وقفت بمشاعرها وتأييدها مع

أول تجربة للوحدة العربية. وإنى لأثق – نفس ثقتى بالله – أن هذه التجربة لن تكون الأخيرة، وإنما كانت التجربة عملية رائدة، استفدنا منها الكثير فى تقديرى، وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربى وللوحدة العربية، التى أشعر أن إيمانى بها يزيد قوة وصلابة.. إن التاريخ طويل أمام الأمة العربية، والكفاح مستمر يزداد عمقاً بالتجربة.

أيها الإخوة فى جميع أرجاء الوطن العربى:

لقد حاولت جهدى أن أؤدى واجبى كجندى فى خدمة هذه الأمة العربية، وحاولت ألا أدع مجالاً لفرقة ولا أفتح طريقاً لفتنة. إن عدوى وعدو أمتى هو الاستعمار والرجعية المتعاونة معه، والقاعدة التى يتحفز منها لضرب آمالنا؛ وهى إسرائيل.

إن أملى هو حرية الوطن العربى وحرية المواطن العربى، وإنى لأثق فى حتمية الوحدة بين شعوب الأمة العربية، ثقتى بالحياة، وثقتى بطلوع الفجر بعد الليل مهما طال.

أيها الإخوة:

أعان الله سوريا الحبيبة على أمورها، وسدد خطاها، وبارك شعبها، وستبقى هذه الجمهورية العربية المتحدة رافعة أعلامها، مرددة نشيدها، مندفعة بكل قواها إلى بناء نفسها؛ لتكون سنداً لكل كفاح عربى، ولكل حق عربى، ولكل أمل عربى، وسلام عليكم جميعاً.. وعاشت الأمة العربية، وعاشت الجمهورية العربية المتحدة.

١٦ / ١٠ / ١٩٦١

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

من القصر الجمهورى بالقاهرة إلى الشعب عقب الانفصال

■ **أيها المواطنون:**

لقد دقت الساعة التى يتحتم فيها على كل مواطن أن يتنبه لنفسه.. دقت الساعة التى يتحتم فيها على كل مواطن أن يتنبه لوطنه.. دقت الساعة، التى يتحتم فيها على كل مواطن أن يتنبه لما يجرى من حوله على امتداد الأرض العربية كلها؛ فنحن الآن - أيها المواطنون - على نقطة من نقط التاريخ الحاسمة فى مصير الأمم.. نقطة يمكن منها أن يتحدد المصير وأن يتشكل القدر بإرادة الله التى تلهم إرادة أمتنا وتوجه خطاها، نحن على نقطة من نقط التاريخ الحاسمة وليس أمامنا غير أحد موقفين:

أولهما: أن تخدعنا ظواهر الأمور فنقف جامدين لا نتحرك، نؤثر الراحة على استمرار النضال، ونفضل السكون على المضى فى الكفاح، أو تفلت منا الحركة عصبية على غير هدى؛ ومن ثم نفقد إحساسنا بالزمان والمكان، ويضيع منا الاتجاه الصحيح، ثم يتبعثر بعد ذلك كل ما أحرزه النضال الشعبى لأمتنا من مكاسب وانتصارات.

وثانيهما: أن نعى حقائق الأمور، وأن نمضى فى حركتنا بقوة أكثر واندفاع أشد؛ فى طريق واضح نعرف أهدافنا عليه؛ منطلقين مؤمنين مصممين إلى المثل الأعلى الذى خفقت من أجله أعلامنا، وسالت

على أمل الوصول إليه دماء شهدائنا؛ مستكملين الشوط إلى مداه الحتمى، واصلين بالمقدمات إلى نهايتها الصحيحة، واضعين أحلامنا موضع الحقيقة، مهما كانت التضحيات ومهما طال المدى.

دقت الساعة التى يتحتم علينا فيها أن نختار؛ إما طريق الاستسلام لليأس، وإما طريق الاندفاع إلى العمل الثورى، إما أن نمد أيدينا فى مذلة إلى القيود والسلاسل التى حطمناها ونعود إلى الرضا بالهوان، وإما أن نقف بعزيمة الثوار ونستجمع كل حوافز القتال فينا لنواصل معركتنا الكبرى؛ حتى يكون النصر لنا حاسماً ونهائياً إلى الأبد.

أيها المواطنون:

ولقد اخترت.. لقد قضيت الأيام الأخيرة كلها أفكر، وكنت بمشاعرى مع شعبنا العظيم فى كل مكان.. فى القرى وفى المصانع، فى الجامعات وفى المعامل، فى المواقع الأمامية فى خط النار المواجه للعدو مع جنودنا، وفى البيوت الصغيرة المضيئة بالأمل فى مستقبل أفضل.. كنت مع هؤلاء جميعاً؛ مع الفلاحين، مع العمال والمثقفين، والضباط والجنود أحاول أن أتحسس مشاعرهم وأن أتفاعل بفكرى مع فكرهم.. كانت أصابعى على نبض هذه الأمة صانعة الحضارة، صانعة التاريخ، صانعة المستقبل، وكانت أذنى على دقات قلبها، الذى نبض دائماً بالحق والخير والسلام.. كنت أريد أن يكون اختيارى صدى لاختيارها.. وكنت أريد أن يكون موقفى تعبيراً عن ضميرها. وأقول لكم الآن – أيها المواطنون – لقد اخترت باسم الله، باسم هذه الأمة، باسم آمالها، باسم مثلها الأعلى، باسم كل المعانى التى قدستها، باسم كل المعارك التى حاربتها.. باسم هذا كله.. كان قرارى وكان اختيارى إن طريق الثورة هو طريقنا، إن الاندفاع بكل طاقة إلى العمل الثورى هو المفتاح الوحيد لكل مطالب نضالنا الشعبى، وهو الوفاء الأمين بكل احتياجات جماهيرنا المؤمنة، المصممة على الحرية؛ بكل صورها الاجتماعية والسياسية.

أيها المواطنون:

فى هذه الساعة الحاسمة الفاصلة أريدكم جميعاً أن تقفوا معى هذه اللحظات؛ لنطل على الحقيقة الكاملة لكل ما يواجهنا ونواجهه؛ ففى هذه اللحظة لا ينبغى أن يكون بيننا وبين الحقيقة الكاملة حجاب، وينبغى ألا يكون هناك حد لمصارحتنا لأنفسنا، وإنما لابد أن تكون أمانتنا مطلقة أمام الله وأمام التاريخ وأمام الضمير وأمام المستقبل.. فإن المسئولية التى تقع على جيلنا ليست بالمسئولية السهلة أو الهينة، وبمقدار شعورنا بهذه المسئولية، يتحتم أن تكون أمانتنا المطلقة فى مواجهة الحقيقة. إن مسئوليتنا هى إعادة بناء الوطن وتحريره، وإعادة بناء المواطن وتحريره.

أيها المواطنون:

حين بدأت ثورتنا فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، كان النضال الشعبى الطويل لأمتنا قد حدد أمامها أهدافها تتلخص فى كلمتين: استعادة الحرية السياسية للوطن وللمواطن، واستعادة الحرية الاجتماعية للوطن وللمواطن. وبرغم العقبات المادية والفكرية، وبرغم القوى المضادة للثورة فى الداخل والخارج، وبرغم الاستعمار وأدواته وأعوانه؛ فلقد مشى شعبنا شوطاً طويلاً فى اتجاه الثورة السياسية.. لقد انتزعنا الجلاء عن أرضنا الطاهرة، وتصدينا للأحلاف العسكرية الأجنبية التى أرادت أن تجعل وطننا منطقة من مناطق النفوذ، وكسرنا احتكار السلاح الذى فرض علينا ولم يفرض على عدونا؛ فوجدنا أنفسنا نواجه غدره ومطامعه عزلاً، بينما كان هو كقاعدة للاستعمار وسط أرضنا العربية، وكرأس جسر له؛ قد تحول إلى ترسانة سلاح تنذر وتهدد.

وحررنا إرادتنا الدولية، ووضعنا كل إمكانياتنا مع غيرنا من الشعوب المناهضة للاستعمار والداعية إلى السلام، وسرنا بهذه الإرادة الدولية الحرة على طريق طويل؛ قادنا من باندونج إلى الأمم المتحدة، إلى الدار البيضاء، إلى بلجراد منذ أسابيع.. ثم استعدنا شخصيتنا العربية الأصيلة، بعد أن حاولت قوى

مختلفة أن تحجب الرؤية الصافية عنّا بالزيف والضلال، وانحزنا بكل قوانا إلى النضال الشعبى العربى فى كل أرض عربية، ارتفع فوقها اللواء بنضال عربى حر وأصيل.. ثم كانت استعادة قناة السويس هذه ذروة مواجهتنا لمعركة الحرية السياسية، وكانت موقعتنا الفاصلة فى هذه المعركة، وكان النصر فيها معناه اندحار القوى الأجنبية، التى اتخذت المنطقة العربية كلها ملكاً خالصاً لها، ووجدت بين أبنائها من يقومون بدور الخونة والعملاء؛ بأثمان تتفاوت بين مرتبات شهرية تمنح لمن يقومون بالخدمات السهلة، إلى العروش العالية تمنح للمتفانين فى الخدمة، ممن يستطيعون أن يبيعوا الشعوب بأكملها بيع الرضاء والسماح.

وأحس الاستعمار وأحست القوى الأجنبية المسيطرة على بلادنا أنها إذا لم توجه الضربة القاصمة إلى قوة التحرر الوطنى العربى.. فإن المنطقة كلها سوف يفلت زمامها، وسوف ينطلق التيار الشعبى الكاسح يجرف الخونة الصغار، ويدق العروش الأجيرة القائمة على حراب المستعمر، وبسند من مدافعه ودباباته. وكان النصر للقوى الشعبية العربية فى موقعة السويس الفاصلة، وداست شعوبنا المنتصرة بأقدامها عديداً من العملاء، وارتجت فى المنطقة كلها عروش لم تقمها إرادات الشعوب؛ وإنما أقيمت غصباً عن إرادات الشعوب، وبدأ ظل الاستعمار الكئيب يتراجع عن المنطقة؛ ولكن بقيت له فيها نقاط ارتكاز، قبع فيها ينتظر ويتحفز ويتأهب للانقضاض - إذا ما واتته الفرصة - ليستعيد سيطرته، ليؤمن مصالحه ويضمن بقاءه، ويحطم كل مقاومة قادرة على التصدى له.

أيها المواطنون:

ولقد كان الشىء الوحيد الذى تستطيعه القوى الوطنية فى ذلك الوقت هو أن تنتقل بكل قواها إلى معركة الحرية الثانية.. معركة الحرية الاجتماعية.. فلقد كان إحراز النصر فى هذه المعركة، هو الضمان الوحيد لتثبيت كل انتصارات معركة الحرية السياسية وتدعيمها، وكان لابد أن ينطلق الزحف نحو معركة الحرية الاجتماعية بجناحين من الكفاية والعدل؛ كانت الكفاية تعنى زيادة الإنتاج فى

جميع المجالات: زيادة رقعة الأرض الزراعية، زيادة غلة كل فدان من الأرض الزراعية.. كانت تعنى زيادة المصانع بالتوسع فيها؛ طبقاً لخطة مطابقة لاحتياجاتنا، وبتدعيم الكفاية الإنتاجية لكل ما كان لدينا منها، ولكل ما نبنيه عندنا من جديد، كانت تعنى توجيه المال الوطنى وتحويله إلى طاقة خالقة، وتحريكه بكل سرعة لتوسيع قاعدة الثروة الوطنية، كانت تعنى التوسع الكبير فى وسائل المواصلات، فى القوى المحركة، فى الخدمات التى تمكن القوة البشرية للوطن من أن تعطى للإنتاج، دونما عقبات أو موانع كل ما تملكه من قدرة على الفكر وعلى العمل.

ولقد كان ما تم إنجازه فى هذا المجال ضخماً وكبيراً.. لقد أنشئت الأجهزة العاملة بكل الوسائل، ووضعنا تحت تصرفها من الإمكانيات ما يمكنها من فتح الطريق أمام العمل الجدى فى جميع القطاعات، ولقد توصلنا إلى نتائج من حقنا أن نذكرها، ولربما كان أحسن ما فى ذكرنا لها أنها تشعرنا دائماً بقدرتنا على العمل.. وبقدرتنا على الصمود فى وجه التحدى الكبير، الذى يواجهنا من جراء التخلف الذى أرغمنا عليه بعوائق الرجعية والاستعمار.

يكفينى أن أضع أمامكم - أيها المواطنون - هذه الأرقام التى تمثل صورة حقيقية للعمل الحقيقى الذى أنجزناه، وإذا ما وضعنا هذه الأرقام أمام الظروف السياسية والاجتماعية، التى كنا نباشر تحت ضغطها عملنا الإنتاجى؛ لاستطعنا أن نلمس بأيدينا صورة جلية لقدرتنا الإيجابية المتحررة على مواجهة تحدى التخلف.

كان الدخل القومى سنة ٥٣/٥٢ (٨٠٦) مليون جنيه فى السنة، وأصبح سنة ٦١/٦٠ - السنة المالية التى انتهت فعلاً - ١٣٩٧ مليون جنيه، وتقديره المتوقع سنة ٦٢/٦١؛ أى السنة المالية الحالية، ١٥٥٦ مليون جنيه فى السنة؛ أى إن الدخل القومى تضاعف تقريباً خلال سنوات الثورة. كانت ميزانية الدولة للسنة المالية ٥٣/٥٢ هى ٢٢٨ مليون جنيه، وأصبحت الميزانية للسنة المالية الحالية ٦٢/٦١ هى ٨٢٥ مليون جنيه.

وإذا بدأت بجانب الخدمات الحكومية فلقد كنا - على سبيل المثال - نصرف ٤١ مليون جنيه فى السنة على الأمن القومى، يدخل فيه الدفاع بطبيعة الحال؛ ونحن الآن نصرف على الأمن القومى ١١٦ مليون جنيه.. ومع ذلك، ففى سنة الثورة كان هذا المبلغ يمثل ٢٥% من الميزانية تقريباً، وفى هذا العام لا تزيد نسبة هذا المبلغ عن ١٤% من الميزانية تقريباً، هذا مع ملاحظة التوسع الهائل فى قواتنا المسلحة، والتغيير الأساسى الذى حدث فى نوع سلاحها، وفى كفايتها المقاتلة. وكنا نصرف على خدمات التعليم والثقافة ٣٣ مليون جنيه فى السنة؛ ونحن نصرف عليها الآن ٧٩ مليون جنيه فى السنة، ونرفع رؤوسنا بأن برنامجنا يمضى بسرعة إنشاء مدرستين جديدتين كل ثلاثة أيام.. وكنا نصرف على خدمات الصحة ١٠ مليون جنيه فى السنة، ونحن نصرف عليها الآن ٢٣ مليون جنيه فى السنة، وكنا نصرف على الخدمات الاجتماعية والدينية ٤ مليون جنيه فى السنة ونحن نصرف عليها الآن ٩ مليون جنيه فى السنة، وكنا نصرف على خدمات المرافق العامة ٧ مليون جنيه فى السنة، ونحن نصرف عليها الآن ٢٨ مليون جنيه فى السنة. وكنا نصرف على الخدمات الزراعية وخدمات الرى ٥ مليون جنيه فى السنة؛ ونحن نصرف عليها الآن ٢٣ مليون جنيه فى السنة، وكنا نصرف على باقى نواحى الخدمات ٨ مليون جنيه فى السنة؛ ونحن نصرف عليها الآن ٩١ مليون جنيه فى السنة.

ولو تركت ذلك إلى الناحية الإنتاجية وبدأت بالزراعة مثلاً - ولابد لنا أن نلاحظ أن التوسع الزراعى بطبيعته محدود برقعة الأرض وبالظروف الجوية - لوجدنا مثلاً أن متوسط إنتاج الفدان من القطن سنة ١٩٥٢ كان ٤,٦ قنطار فأصبح سنة ١٩٦٠ (٥,٢) قنطار، وإذا كان قضاء الله قد وضعنا موضع الاختبار هذا العام؛ فواجهنا محصولاً منخفضاً فى القطن؛ بسبب عوامل الجو، وبسبب استفحال خطر دودة القطن، وبسبب تراخينا فى مواجهة خطر الدودة بالسرعة والكفاية اللازمة.. فلقد أخذنا درس العمر، وعلينا أن نتعظ به، ومهما يكن، فلقد حاولنا قدر جهدنا أن نخفف أثر الضرر؛ لهذا بلغت التسهيلات التى قدمتها الدولة لزراع القطن هذا العام ما قيمته ٣٠ مليون جنيه. فإذا انتقلت من

القطن إلى غيره من المحاصيل، لوجدت أن إنتاج القمح قد ارتفع بما نسبته ٣٢%، وإنتاج الشعير قد ارتفع بما نسبته ٢٢%، وإنتاج الأرز قد ارتفع بما قيمته ٥٣%.. هذا عدا التوسع الكبير فى الخضر والفواكه والإنتاج الحيوانى.

ولو استعرضت بعد ذلك ما أنجزناه فى ناحية استصلاح الأراضى؛ أى توسيع الرقعة الزراعية، واستخلاص أرض خضراء جديدة من براثن الصحراء، لوجدت أن كل ما كان يستصلح من الأرض فى مصر فى السنوات العشرين السابقة للثورة، لم يزد متوسطه السنوى - يدخل فى ذلك جهد الدولة؛ أى وزارة الزراعة ومصلحة الأملاك والمجهود الفردى - عن ٥٣٠٠ فدان فى السنة، وفى سنة ١٩٥٩ وحدها مثلاً وصل ما استصلح من الأرض الجديدة ٤٦٣٠٥ فدان، قفز سنة ٦٠ ليضيف ٨١ ألف فدان جديدة، ثم قفز سنة ٦١ التى يجرى العمل فيها الآن ليضيف ١٠٢ ألف فدان جديدة.

وطبقاً للخطة وعلى أساس الاستفادة من مشروع السد العالى العظيم سوف يقفز التوسع فى الأرض؛ ليضيف كل سنة ما يصل إلى ٢٠٠ ألف فدان سنويًا. وكان حجم التسليف الزراعى سنة ١٩٥٢ هو ١٥ مليون جنيه سنوياً؛ يستأثر كبار الملاك بالجزء الأكبر منها، وهذا العام زاد التسليف الزراعى عن ٣٥ مليون جنيه، ولست أذكر هنا التسهيلات الخاصة المترتبة على سوء محصول القطن هذا العام، والتى وصلت قيمتها إلى ٣٠ مليون جنيه. ولقد تضاعف تقريباً عدد الجمعيات التعاونية الزراعية، وانضمت ١٦٢ ألف أسرة إلى ملاك الأرض؛ بفعل ما تم توزيعه بمقتضى قانون الإصلاح الزراعى الأول، وتملكت بالفعل ٤٣٠٨٥٢ فداناً، ومازال باقياً تحت التوزيع من القانون الأول ١٢٩ ألف فدان؛ تجرى الآن تقوية كفايتها الإنتاجية قبل توزيعها، ولسوف تتملكها ٤٠ ألف أسرة. كذلك بمقتضى قانون الإصلاح الزراعى الجديد وبمقتضى قرار توزيع أراضى الأوقاف سوف تتحول ٦٠ ألف أسرة أخرى إلى التمتع بحق الملكية الزراعية للأرض.. هذا عدا الملاك الجدد للأراضى الجديدة التى تجرى إضافتها بجميع مشروعات استصلاح الأراضى؛ والسد العالى بينها بطبيعة الحال. ولو أخذنا معدل خمسة أفراد للأسرة الواحدة لوجدنا أن مليوناً من المواطنين أصبحوا ملاكاً

بمقتضى إعادة توزيع الأرض، وأن عدة ملايين من المواطنين سوف يصبحون ملاكاً؛ بما سوف يستجد من الرقعة الخضراء من الأرض المستخلصة من براثن الصحراء القاحلة.

وأترك الزراعة إلى الصناعة؛ لقد كان ما وجه إلى الاستثمار الصناعى كله سنة ١٩٥٢ فى مصر هو مبلغ ٢ مليون و١٥٠ ألف جنيه، وفى العام الماضى وحده وَجَّهْنا إلى الاستثمار الصناعى والكهرباء ٨٨ مليون جنيه. ومنذ سنة ١٩٥٧ بدأ التخطيط للصناعة يدخل مرحلة جديدة منظمة، ولقد وضعت خطة للصناعة، اشتملت على برنامجين يتكلفان ٧٢٠ مليون جنيه، تم تنفيذ الأول منهما، والثانى يستكمل تنفيذه سنة ١٩٦٥/٦٤، وما تم من هذه الخطة حتى الآن على صورة مصانع جديدة تمت إقامتها بالفعل هو ٣٥٠ مليون جنيه، والباقى كله تحت التنفيذ، وكثير من هذا الباقى تم التعاقد عليه.

ولقد كانت قيمة الإنتاج الصناعى سنة ١٩٥٢ فى مصر هى ٣١٣ مليون جنيه، ووصلت قيمة الإنتاج الصناعى سنة ١٩٦٠ إلى ٦٩٣ مليون جنيه، وتصل هذا العام - ١٩٦١ - إلى ٧٢٠ مليون جنيه. وأنا هنا - أيها الإخوة - أتكلم عن الإنتاج الصناعى البحت، لا أدخل فيه مثلاً عمليات حلج القطن، ولا أعمال المخابز وغيرها من الأعمال المشابهة لها.

وإذا أخذت البترول مثلاً سنة ١٩٥٢، فلقد كان إنتاجنا منه ٢ مليون و٣٧٠ ألف طن، وهذا العام وصل إنتاج البترول عندنا إلى ٤ مليون طن. وإذا أخذت الغزل والنسيج، فلقد كان إنتاجنا من الغزل والنسيج سنة ١٩٥٢ هو ٥٥ ألف و٧٠٠ طن ووصل هذا العام إلى ١١٥ ألف طن. وكانت طاقتنا الكهربائية قيمتها ٩٩٢ مليون كيلو وات/ساعة سنة ١٩٥٢ وفى هذا العام أصبحت طاقتنا الكهربائية هى ٤٨٠٠ مليون كيلو وات/ساعة؛ أى بزيادة قدرها ٤٤٨%، يدخل فى هذا بالطبع مشروع كهربة خزان أسوان الذى تم تنفيذه وانتهى، ولا تدخل فيه بالطبع كهرباء السد العالى، التى ستحدث ثورة صناعية فى وطننا.

ولعل أبرز الظواهر فى الإنتاج الصناعى هى اتجاهه إلى الارتفاع السريع، واستجابة الإنتاج فيه بطبيعته للعمل المنظم وللتخطيط الدقيق. ولكى أشرح ذلك فإنه فى سنة واحدة ما بين ١٩٥٩ و ١٩٦٠ زاد الإنتاج فى الغزل والنسيج وحدهما بما قيمته ٤٧ مليون، وما بين عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦١ زاد إنتاجنا من السماد بما يصل إلى ٣٠٠ ألف طن.. فإذا أضفت إلى ذلك ما استجد على حياتنا من أنواع الإنتاج الصناعى؛ خصوصاً فى الصناعة الثقيلة كصناعات الحديد والصلب، ومحركات الديزل، وعربات السكة الحديد، وسيارات اللورى، والأتوبيس والركوب؛ كذلك ما استجد من الصناعات الخفيفة كصناعات الدراجات والسخانات، والأفران والثلاجات الكهربائية، والكابلات وأدوات الكهرباء بأنواعها المختلفة، والخزف والصينى، والصناعات الغذائية، لاكتملت ملامح صورة تبشر بالأمل فى تقدم صناعى واسع الخطى.

ثم أقول كلمة سريعة فى ذلك الشأن: فى سنة ١٩٥٢ كانت كهربة خزان أسوان تبدو حلماً صعباً على التحقيق، وكهربة خزان أسوان الآن أمر واقع، فى سنة ١٩٥٢ لم يكن السد العالى على فكر أى منّا على الإطلاق، كان سراباً يلوح فى صحراء الوهم، وفى هذا العام يجرى العمل بكل قوة فى هذا المشروع الذى يعتبر من أعظم المشروعات الإنتاجية فى العالم كله، والذى تزيد تكاليفه عن ٣٠٠ مليون جنيه.. هذا تصوير سريع لآمالنا ولقدرتنا على تحقيقها.

أيها المواطنون:

ولكن ذلك كله كان لابد من وضعه فى إطار شامل يحقق التنمية؛ لهذا تم وضع خطة مضاعفة الدخل القومى فى ١٠ سنوات، وتستهدف هذه الخطة بالنسبة لمصر توجيه استثمارات قدرها ١٩٦٧ مليوناً من الجنيهات فى السنوات الخمس الأولى منها؛ يزيد الدخل القومى معها بما متوسطه ١٠٣ مليون جنيه فى السنة، يتضاعف تماماً فى نهاية الخطة، وليصبح متوسط دخل الفرد الذى كان يقدر بحوالى ٣٦ جنيهاً فى السنة، والذى هو الآن ٥٢ جنيهاً فى السنة؛ ليصل

إلى ما يزيد على ٨٠ جنيها في السنة؛ مع اعتبار الزيادة فى عدد السكان. ولست أخفى عليكم الآن أنه بات مُحَتَّماً أن تسرع خطانا على طريق التنمية بأكثر من هذا القدر، ولقد طلبت إلى الأجهزة المسئولة عن التنمية أن تدرس إمكانية مضاعفة الدخل القومى فى أقل من ١٠ سنوات، ولابد لنا أن نسير وأن نبنى، وما من جدال أن الإطار الاشتراكى للمجتمع الآن يساعدنا على دفع عجلة الإنتاج بسرعة أكبر مما قدرنا ونحن نضع الخطة.. لقد أصبح لدينا الآن قطاع عام فى الاقتصاد قوى يملكه الشعب بمجموعه، وهو فوق أثره الاجتماعى طليعة قادرة على فتح الطريق أمام التنمية الاقتصادية فى جميع المجالات، وإننا لنفخر أن النواة الأولى لهذا القطاع العام كانت جميع المؤسسات الاحتكارية البريطانية والفرنسية والبلجيكية؛ ثم أضفنا إلى هذا القطاع ما قمنا نحن بإنشائه؛ طبقاً لبرامج التنمية خلال السنين الأخيرة، ثم استكمل هذا القطاع قوته بما تم تأميمه أخيراً بمقتضى مجموعة القوانين الاشتراكية التى صدرت فى شهر يوليو من هذا العام؛ وبهذا أصبحت القوة العاملة لهذا القطاع تمثل رأس مال لا يقل عن ١٠٠٠ مليون جنيه، بينما الطاقة المتحركة لرأس مال هذا القطاع تزيد عن هذا المبلغ عدة مرات، بقوة اندفاع متزايدة قادرة على تحريك عجلات التطوير فى الزراعة وفى الصناعة بوجه خاص.

أيها المواطنون:

وكان العدل يعنى توزيع الدخل القومى على أبناء الوطن دونما استغلال أو حرمان، ولقد كانت الاشتراكية هى طريقنا إلى هذا العدل، ولست أريد - أيها المواطنون - أن أدخل هذه اللحظات فى تعريفات معقدة للاشتراكية، ولكن المفهوم الواضح البسيط للاشتراكية - فى تصورى - هو أنه لابد أن يكون الدخل القومى الوطنى شركة بين المواطنين؛ كل بقدر جهده الحقيقى فى تحقيق هذا الدخل القومى، وإذا كان مفهوم الحرية السياسية - فى تصورها السهل - هو أن يكون لكل مواطن حق فى تقرير أمر وطنه؛ طبقاً لفكره الخاص؛ فإن مفهوم الحرية الاجتماعية فى تصورها السهل، هو أن يكون لكل مواطن حق فى

نصيب من ثروة وطنه طبقاً لجهده الخاص، ولكن الفرصة يجب أن تكون متكافئة، والحق يجب أن يكون مساواة بين الناس؛ هذه شريعة العدل، وهى فى نفس الوقت شريعة الله. ولم تكن شريعة العدل - شريعة الله - تسمح للقلة من أبناء الوطن أن تحتكر الكثرة من ثروته لها وحدها؛ وحرماناً للأغلبية صاحبة الحق الشرعى بكونها أغلبية.. لم تكن شريعة العدل - شريعة الله - تسمح بأن تكون الأرض الزراعية فى وطننا - وهى أساس الثروة الوطنية وقاعدتها الأولى - ملكاً لقلة صغيرة من الناس.. يملكون فيها كل شىء ولا يملك غيرهم منها إلا القليل الضئيل، ثم لا يكون أمامهم إلا أن يصبحوا عبيداً للأرض ولسادة الأرض من كبار الملاك.. لم تكن شريعة العدل - شريعة الله - تسمح بأن تكون المصانع فى بلادنا كلها حكراً لظروف مروعة من الاستغلال؛ لا هم لها إلا أن تزيد غناها على حساب إفقار الجماهير.. لم تكن شريعة العدل - شريعة الله - تسمح بأن يكون الغنى إرثاً، وبأن يكون الفقر إرثاً، بأن تكن الصحة إرثاً ويكون المرض إرثاً، بأن يكون العلم إرثاً وبأن يكون الجهل إرثاً، بل بأن تكون الكرامة الإنسانية إرثاً وبأن يكون الذل الإنسانى إرثاً.. إن شريعة العدل - شريعة الله - ترفض ذلك وتأباه، وترفضه وتأباه شريعة الحرية فى معناها الاجتماعى، وبدونه وبدون ضمانه على الأساس الصلب المتين، لا تعود للحرية السياسية قيمة، ولايصبح لها أى وزن.

أيها المواطنون:

ومضت المعركة من أجل الحرية الاجتماعية عنيفة لا هوادة فيها، كما مضت من قبلها معركة الحرية السياسية ضد الاستعمار فى صورته الظاهرة؛ بل لقد كان التشابه بين المعركتين يكاد أن يكون تماثلاً فى الظروف. وعلى أى حال، فإن الطبقة الرجعية المستغلة؛ التى كنا نستهدف القضاء على امتيازاتها فى معركة الحرية الاجتماعية.. كانت هى الحليف الطبيعى للاستعمار، الذى كنا نحارب فى معركة الحرية السياسية صورته الظاهرة؛ كقواعد عسكرية وكمراكز للاحتلال. كذلك.. فلقد كان علينا أن نذكر دائماً أن هذه الطبقة الرجعية المستغلة

إنما وصلت إلى مراكز القوة، التى استطاعت منها مباشرة استغلالها للجماهير، تحت ظروف الاحتلال الاستعمارى وفى رعايته وحماه. من هذا كله كان لابد أن يكون التشابه بل التماثل بين المعركتين.. كنا أمام الاستعمار نضرب وكنا نتلقى الضربة، وكنا نتراجع أحياناً ونتحفز للتقدم من جديد؛ حتى كانت ضربتنا الحاسمة بتأميم قناة السويس، وكذلك حدث مع الرجعية المستغلة.. كنا نصدر التشريعات من أجل العدالة الاجتماعية فيكون التحايل عليها، وكانت الجماهير بمطالبها الملحة تعود إلى التقدم، وتتظاهر الرجعية بالاستسلام بينما هى تتحفز لانقضاضة جديدة تعيدها إلى مكان أفضل؛ تواصل منه استغلالها الشرس، واحتكارها الذى لا يشبع، على حساب جموع الملايين، ثم كانت الإجراءات الحاسمة فى يوليو سنة ١٩٦١ بصدور مجموعة القوانين الاشتراكية؛ التى أعطت الطبقات العاملة موضع قوة، تستطيع منه استخلاص حقوقها.

أولاً: حددنا ملكية الأرض بما لا يزيد على مائة فدان، ولا تزيد حيازة المستأجر عن خمسين فداناً، وهذا قدر كاف يحفظ حق الملكية الفردية، ولكنه يدفع شرور احتكار الأرض، ويفتح الفرصة فيها أمام عدد جديد من الأجراء ليتمتعوا بنعمة الملكية، هذا إلى جانب ما يمكن أن يوفره إصلاح الأراضى الجديدة – عن طريق العمل من أجل الكفاية – من فرص لتوسيع قاعدة الملكية، ومن تدعيمها بالتعاون الزراعى.

ثانياً: أممنا ملكية الصناعات الثقيلة؛ لتكون كلها وليكون التوسع الجديد فيها ملكاً للشعب، وكذلك فعلنا بالنسبة للاستيراد والتصدير؛ لكى لا يكون الإنتاج الوطنى ألعوبة فى يد المضاربات الفردية، التى لا تسعى لغير زيادة أرباحها على حساب المجموع، واختزال أموالها مهربة فى البنوك الأجنبية؛ وكذلك فعلنا بالبنوك ليكون المال خادماً لمصالح الشعب لا سيداً لها. وبالنسبة للصناعات المتوسطة.. فلقد حولنا ملكية النصف فى بعضها إلى الشعب، وفى البعض الآخر حددنا أقصى ما يملكه أى فرد فيها بعشرة آلاف جنيه، وبالنسبة للمهن والحرف وبالنسبة للصناعات الخفيفة، وبالنسبة لأعمال

التجارة الداخلية.. بالنسبة لهذه الأعمال كلها وغيرها - وهي جميعاً مما لايمكن معه إيجاد قوة قادرة على الاستغلال والاحتكار - فلقد تركنا المجال حرًا لا قيد عليه.

ثالثاً: بالنسبة للعمال؛ فلقد كان لابد من تكريم الطبقة العاملة، ووضعها فى مكانها الحقيقى الذى تستطيع منه متمتعة بكل حقوقها أن تؤدى دورها العظيم فى عملية التطوير؛ لذلك تقرر أن يدخل العمال والموظفون فى كل منشأة إلى مجلس إدارتها؛ عن طريق عضوين يجرى انتخابهما بالاقتراع السرى العام بينهم؛ على ألا يزيد عدد أعضاء مجلس الإدارة عن ٧؛ لتكون قوة العمال فيه فعالة ومؤثرة.. كذلك تقرر أن يكون لهؤلاء العمال والموظفين بنص القانون حق فى أرباح منشآتهم تحدد بربع هذه الأرباح، وبذلك لم تهدر الملكية الفردية وإنما اتسع نطاقها، لم تعد الملكية هى حق رأس المال وحده، وإنما الملكية أصبحت حق العمل إلى جانب حق رأس المال.

رابعاً: جرت المحاولة لوضع حدود للدخول العليا؛ حتى نتمكن من أن نضع حدًا أدنى لدخل كل مواطن يستطيع به أن يؤمن حقه فى الكرامة الإنسانية.. أصبحت المرتبات فى المؤسسات محدودة بما لا يزيد عن خمسة آلاف جنيه فى السنة، ولقد كان هناك من تصل دخولهم إلى ٥٠٠ ألف جنيه فى السنة، وارتفعت شرائح الضرائب التصاعدية لكى تصل إلى ٩٠% بعد أن يصل الدخل إلى ١٠ آلاف جنيه فى السنة؛ عن طريق المرتبات أو مصادر الدخل الأخرى، وهذا حق يسلم به العالم المتحضر كله. وبصرف النظر عن أى اعتبار آخر، فلست أتصور - فيما يتعلق بوطننا - أن شريعة العدل وشريعة الله ترضى أن يحصل فرد على ٥٠٠ ألف جنيه فى السنة، بينما متوسط الدخل العام فى الوطن كله للفرد لا يزيد إلا قليلاً عن ٥٠ جنيهاً فى السنة.

أيها المواطنون:

كان هذا ما فعلناه فى شهر يوليو بمجموعة التشريعات الاشتراكية التى استهدفت تحقيق الحرية الاجتماعية، كانت هذه العملية فى شهر يوليو ١٩٦١ أشبه بقرار تأميم قناة السويس فى شهر يوليو أيضاً من سنة ١٩٥٦، ولقد انقض الاستعمار علينا بأساطيله فى البحر والجو، وبجيوشه التى تقتحم شواطئنا فى يوم ٢٩ أكتوبر؛ انتظر الاستعمار ثلاثة شهور، قبل أن يكر علينا ليضرب انتصارنا السياسى، ولكن الرجعية لم تنتظر أكثر من شهرين.. لقد أحست أنها ما لم تتحرك بسرعة لتسلب الجماهير ثمرات نضالها الاجتماعى، قبل أن تتمكن الجماهير من تعزيز مواقعها ومن إحكام الدفاع عن مكاسبها؛ فإن الذى فقدته الرجعية سوف يضيع عليها إلى الأبد، وتحركت الرجعية.. ضربت يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ كما ضرب الاستعمار فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦، كانوا يريدون أراضيهم ومصانعهم وشركاتهم المنهوبة من مال الشعب؛ تماماً كما كان الاستعمار يريد قناتنا التى ادعاها لنفسه بينما الشعب الذى حفرها وسط أرضه محروم من كل خيراتها.

أيها المواطنون:

من هذا التصور للتشابه بين المعركتين قلت لكم فى حديثى يوم ٢٩ سبتمبر: إن الرجعية لم تحقق فى دمشق أكثر مما حققه الاستعمار سنة ١٩٥٦؛ حينما حصل لنفسه على رأس جسر فى بورسعيد، وكما قلت لكم يومها إننى واثق أن الرجعية سوف تندحر، وسوف ترغم على الجلاء عن رأس الجسر الذى احتلته فى دمشق؛ فإنى مازلت أقول نفس قولى الآن سوف تندحر الرجعية، وسوف ترغم على التقهقر من الموقع الذى احتلته فى دمشق. أقول لكم ذلك الآن.. لا لأنى أريد أن تعود سوريا إلى الجمهورية العربية المتحدة؛ ذلك حق لا أملكه، وإنما يملكه الشعب السورى ويملكه الشعب المصرى، ولكنى أقوله لأن الذى يهمنى قبل كل شىء أن تبقى للجماهير العربية السورية مكاسبها الحقيقية فى

العدل الاجتماعى، وفى الكفاية التى تمكن له وتيسر الحصول عليه، وأقوله لأنه من المهم لنا هنا فى هذه الجمهورية العربية المتحدة - ونحن نتأهب لنحمل مسئوليتنا الكبرى فى الاندفاع إلى العمل الثورى الاجتماعى - أن نعى درس التجربة ونحفظه.

أيها المواطنون:

من أول واجباتى فى هذه اللحظة أن أدرس معكم وتدرسوا معى الدروس المستفادة من انقضاضة الرجعية فى سوريا، ومرة أخرى فليس هدفى من هذه الدراسة أن أؤثر على مجرى الحوادث فى سوريا ذاتها، وإنما هدفى الأول والأخير أن تكون الفائدة للنضال العربى كله، ولمعركته الاجتماعية الشاملة من أجل حق الإنسان العربى فى حياته وفى كرامته. وأشعر الآن أنه لابد لى من أن أواجه معكم بشجاعة وَشَرَف أخطاءَنا التى يسرت للرجعية انقضاضها، وحصولها على رأس الجسر الذى حصلت عليه فى دمشق:

أولاً: لقد وقعنا ضحية وهم خطير قادتنا إليه ثقة متزايدة بالنفس وبالغير؛ لقد كنا دائماً نرفض المصالحة مع الاستعمار، ولكننا وقعنا فى خطأ المصالحة مع الرجعية، لقد تصورنا أنه مهما كان من خلاف بيننا وبين العناصر الرجعية فإنهم أبناء نفس الوطن وشركاء نفس المصير، ولكن التجربة أثبتت لنا خطأ ما كنا نتوهمه؛ أثبتت التجربة أن الرجعية - وهى من ركائز الاستعمار - لا تتورع عن الارتكاز عليه بدورها لتسلب النضال الشعبى ثمراته الاجتماعية.. أثبتت التجربة أن الرجعية على استعداد للتحالف مع الاستعمار ذاته؛ لتستعيد مراكزها الممتازة التى تتمكن بها من مباشرة استغلالها، حتى وإن أدى ذلك إلى أن تمكن له من التحكم فى مقدرات الشعوب التى تنتمى إليها. ولقد غير الاستعمار طريقة تسلله إلى أرضنا؛ فى حين أننا لم نغير طريقة مواجهتنا له.. كنا ما نزال نقاوم أحلافه العسكرية وقواعده، بينما كان هو يتوارى وراء الرجعية وفى قصورها العالية والمشيدة من استغلال

الجماهير؛ وبذلك كانت ضرباتنا ضده تطيش أخيراً فى الهواء ولا تصيب؛ لأنها كانت موجهة إلى المكان الذى لم يعد موجوداً فيه. كنا نوجه ضرباتنا إليه فى الأحلاف والقواعد؛ وكان هو قد غير مكانه وتوارى فى القصور وفى خزائن أصحاب الملايين. ولابد لنا الآن لسلامة النضال الشعبى أن نخلص أنفسنا من هذا الوهم الخطير الذى تركنا أنفسنا له.. لابد لنا أن نقاتل الاستعمار فى قصور الرجعية، وأن نقاتل الرجعية فى أحضان الاستعمار.

ويتصل بهذا الوهم وهم تصور إمكان المصالحة مع الرجعية، على أسس وطنية؛ ذلك أننا فى الوقت الذى أعلنا فيه إيماننا بإمكانية إزالة المتناقضات الطبقية سلميًا داخل إطار من الوحدة الوطنية، كانت الرجعية تمشى فى طريق آخر معاكس.. لم تكن القوى الرجعية بمثل طبيعة الجماهير وسماحتها ونبلها، ولقد رأينا فى سوريا كيف تكتلت الرأسمالية والإقطاع والانتهازية مع الاستعمار للقضاء على مكاسب الجماهير، ولضرب الثورة الاشتراكية، ولاسترداد جميع امتيازاتها ولو بالقوة المسلحة، ولو بإراقة الدماء. كنا نأخذ الأرض من الإقطاعيين سلمياً ونعوضهم عنها لنعطيها للفلاحين، وفى سوريا الآن يقتل بالرصاص أى فلاح يتردد لحظة فى التسليم بحقه المشروع فى أرضه لكبار الإقطاعيين. أردناها بيضاء من أجل العدل ولم يتورعوا أن يجعلوها حمراء ملطخة بالدم؛ استمراراً فى الظلم واستبقاء له. كنا نحلم بأن تكون الثورة تنبض بقلب رحيم؛ ولكن الرجعية لم تتخل عن طبيعتها العدوانية، ولم تتردد فى اتباع أى وسيلة إلى غاياتها المستغلة الشرسة حتى وسيلة القتل، بل لقد استغلت الرجعية كل طيبة الجماهير وسماحتها ونبلها؛ فى الوقت الذى بقيت لها فيه الأموال الطائلة. فى هذا الوقت كله لم تشعر الرجعية بذرة من العرفان تجاه هذه الحرية، التى تركت لها من غير استحقاق، وإنما العكس كان موقفها؛ فلقد استعملت هذه الحرية لتضرب الشعب، ولتخرب ولتدمر، ولتنقلب على أهدافه وخططه وأحلامه، وتشعل فيها النار جميعاً لا تهتم ولا تبالى.

ثانياً: لقد وقعنا فى خطأ كبير لا يقل أثراً عن الوهم الخطير الذى نسينا أنفسنا فيه؛ هذا الخطأ هو عدم كفاية التنظيم الشعبى.. لقد كانت وسيلتنا إلى التنظيم الشعبى هى تكوين الاتحاد القومى ليكون إطاراً من حول صراع الطبقات؛ وكان خطؤنا أننا فتحنا الطريق إلى الاتحاد القومى أمام قوى الرجعية، وكانت نتيجة هذا الخطأ أن الرجعية التى تسللت إلى الاتحاد القومى تمكنت من شل فاعلياته الثورية، وحولته إلى مجرد واجهة تنظيمية لا تحركها قوى الجماهير ومطالبها الحقيقية. ولعل الظاهرة التى تبلور هذا الخطأ هى أن بعض الذين يتصدرون اليوم فى قيادة الحركة الرجعية الانفصالية فى سوريا، كانوا هم أنفسهم من المتصدرين فى تنظيمات الاتحاد القومى؛ من هنا فإن أهم ما يواجهنا اليوم هو إعادة التنظيم الشعبى؛ ليكون الاتحاد القومى أداة ثورية للجماهير الوطنية وحدها، صاحبة الحق والمصلحة فى التغيير الثورى.. لابد أن يكون الاتحاد القومى للعمال وللفلاحين، وللمثقفين، ولأصحاب المهن، وللملاك الذين لا تقوم ملكيتهم على الاستغلال، وللضباط وللجنود الذين كانوا طليعة يوم التغيير الكبير فى ٢٣ يوليو؛ لأصحاب الثورة الحقيقية، ولحماتها وللمدافعين عنها، للذين تتحقق بالاشتراكية آمالهم، للذين يملكونها ويملكها أبناؤهم؛ أصحاب الحق وأصحاب الأمل وأصحاب المستقبل.

ثالثاً: إننا لم نبذل الجهد الكافى فى توعية الجماهير الواسعة بحقوقها، وتعريفها بقدراتها وطاقاتها الكامنة على حماية هذه الحقوق، وإنى لأسمع من بعض الناس أن هذا الجيل من الأمة العربية قد حمل مسئوليات فى النضال تنوء بها أجيال، ولكن دعونى أذكركم جميعاً أنه ليس أمامنا من سبيل إلا أن نستمر فى ثورتنا إلى نهايتها، وحتى تحقق أهدافها؛ فإن الثورات الشعبية لاتعرف الإجازات، وإذا توقفت الثورة الشعبية قبل بلوغ أهدافها.. فإنها لابد أن تنتكس، وتجد نفسها مرغمة أمام أعدائها على أن تسلم لهم بما حصلت عليه من انتصارات مرحلية فى فترات النضال، ثم يتعين عليها بعد ذلك أن تبدأ الطريق الثورى من أوله؛ لهذا فلست أرى سبيلاً أمامنا غير المضى فى

الثورة وفى رفع أعلامها. والسبيل الحقيقى لاستمرار النضال فى غير ملل ولا تراخ هو توسيع القيادة الثورية والقاعدة الثورية معاً، وتوعية الجماهير المعبأة توعية مستمرة وعميقة؛ تكفل قيادات متجددة للنضال الشعبى، وقواعد تمتد إلى كل مركز من الوطن، ومن أجل هذا.. فإن نقابات العمال والاتحادات التعاونية للفلاحين، والجامعات والمنظمات المهنية والجمعيات النسائية؛ ينبغى لها أن تتحول جميعاً إلى مراكز للإشعاع الفكرى الخلاق الذى يدفع العمل الثورى المتجدد.. إن كل قرية، كل مصنع، كل كلية، وكل مدرسة، كل مجلس نقابة مهنية، كل رجل، كل امرأة، كل شاب، كل طفل فى هذا الوطن؛ يجب أن يتحول إلى خلية ثورية حية وخصبة.

رابعاً: إننا لم نستطع أن نطور جهاز الحكم إلى مستوى العمل الثورى وظللنا حتى الآن، ونحن نخوض أقسى المعارك ضد الاستعمار والرجعية نعمل بتنظيم ولوائح قديمة مضى الزمن عليها، بل وكانت كلها من وضع الاستعمار والرجعية، ولقد تحمل جهاز الحكم كثيراً من الأعباء الجديدة؛ ولكننا لم نعمل على تطويره؛ ليستطيع تحمل قوة الدفع الثورى. وفى بعض الأحيان لم يستطع هذا الجهاز الحكومى أن ينقل إلى الجماهير إحساساً جديداً بأنه مجرد خادم لمصالحها، وإنما أصبحت مصالح الجماهير هى المسخرة لخدمة الجهاز الحكومى بكل ما فيه من خلل؛ وبهذا لم تعد فى الجهاز الحكومى القدرة الكاملة على أن يكون من أدوات الثورة، بل تحول فى بعض الظروف ليصبح عبئاً على الثورة، وهذا أمر لابد من وضعه فى موضعه الصحيح، مهما كانت العقبات والحواجز.

وإنه ليتعين فى تقديرى أن يعاد تنظيم جهاز الدولة، وأن يهز من أعماقه هزًّا ليكون أداة حركة ثورية فى خدمة الجماهير وتحت سيطرتها وتصرفها، لا ليكون أداة تجميد وركود وعزلة لا تتجاوب مع الواقع الجديد. ولابد لإتمام ذلك أن يعاد تنظيمه، وأن يوضع كل واحد فيه حيث يجب أن يكون، وأن يكون لكل فرد من الذين يخدمون الجماهير فى نواحيه المختلفة حقه المتكافئ مع ما يبذله من خدمة الشعب من جهد نزيه.

خامساً: لقد استطاعت عوامل كثيرة فى مجتمعنا أن تفتح ثغرات للانتهازية، ولقد كانت التركة التى ورثتها الثورة ثقيلة، سواء فى أجهزة الحكم وأحوالها أو فى الطبقية الاجتماعية وأحكامها، ثم ما ينتج عن ذلك كله من آثار نفسية على الجماهير. ولقد كان الثمن الذى دفعناه من أجل تسلل بعض العناصر الانتهازية غالياً كبيراً.. فإن بعض العناصر المؤمنة وجدت نفسها مرغمه على اتخاذ موقف سلبى من حركة النضال الشعبى، أو لم تجد الموقع الذى تستطيع أن تقف فيه وتسهم بإخلاص فى توجيه النضال الشعبى. ولست أخفى عليكم أن أكثر ما كان يحز فى نفسى فى أيام معاركنا العظيمة، وفى ذرى انتصاراتنا الضخمة ما أحسُّ به من صراع على السلطات والاختصاصات، ومن أنانية وأَثَرة، ومن ابتعاد عن الأهداف الكبرى للجماهير؛ اقتراباً من أسباب فرديةٍ وشخصية، ولابد لنا الآن من عملية تقييم كاملة تعيد صياغة مثل المجتمع وأخلاقه على نحو جديد أكثر ارتفاعًا وأشد عمقاً.

أيها المواطنون:

لقد أردت أن يكون حديثى إليكم واضحاً لا مواراة فيه.. لقد كان واجبى الأول أن أضع الحقائق كلها أمام الشعب الذى جئت اليوم لأشير أمامه إلى الطريق الذى لا طريق غيره لبناء الوطن ولبناء المواطن؛ لتحرير الأرض ولتحرير الإنسان، طريق الاندفاع فى العمل الثورى إلى مداه، وإلى أن يحقق غايته.. إن النضال الشعبى فى حاجة إلى مزيد من القوة الشعبية، إن الثورة الاشتراكية فى حاجة إلى مزيد من الثورية الاشتراكية، إن الحرية السياسية والاجتماعية لا يصونها ولا يدعمها غير مزيد من الحرية السياسية والحرية الاجتماعية.

وأقول لكم هنا إننا لسنا فى حاجة إلى قوانين اشتراكية جديدة، وإنما نحن فى حاجة إلى عمل اشتراكى؛ ليدعم ما نملكه فعلاً من القوانين الاشتراكية، إننا لسنا

فى حاجة إلى إجراءات ثورية جديدة، وإنما نحن فى حاجة إلى عمل ثورى يحقق الإجراءات الثورية التى أصبحت لها قوة القانون.. إننى لست ضد الملكية الفردية، ولكنى ضد الملكية المستغلة.

إن الملكية الفردية أمانة لابد لصاحبها أن يصونها عن الاستغلال بقدر ما يطلب من الدولة أن تصونها بحماية القانون، إن ملكية الأرض فى حدود القانون الحالى ليست ملكية استغلالية، وملكية المبانى تحت ظروف الضرائب الموضوعة عليها الآن ليست ملكية استغلالية، والاستثمار فى أى مجال من مجالاته المفتوحة للنشاط الفردى، وما ينتج عن هذا الاستثمار، ويخضع للضرائب الحالية ليس ملكية استغلالية، والمهن الحرة الشريفة وكل ما تعود به على أصحابها فى إطار النظام العام ليس ملكية استغلالية.

إن مجتمعنا الاشتراكى فيه مجال لكل العاملين، ولكنى أقول لكم بكل وضوح لا يحتمل الظلال إن مجتمعنا ليس فيه مكان لأصحاب الملايين.. إننى لست ضد الإرث إن الإرث فى تقديرى شرع سماوى وقطعة من الطبيعة البشرية ذاتها، ولكنى أريد أن يصبح الإرث فى الكفاية وليس فى الحاجة.. فى الصحة وليس فى المرض.. فى العمل وليس فى البطالة.. فى العلم وليس فى الجهل؛ أريد مجتمعاً تذوب فيه الفوارق بين الطبقات عن طريق تكافؤ الفرص بين المواطنين، أريد مجتمعاً يستطيع الفرد الحر أن يحدد لنفسه مكانة فيه على أساس كفايته وقدرته وخلقه، لا أريد مجتمعاً.. لا أريد مجتمعاً تخفق فيه الشعارات الثورية كمجرد شعارات، ولكن أريد مجتمعاً يموج بالعمل الثورى من أجل الحرية السياسية والحرية الاجتماعية.

أيها المواطنون:

لقد أعطيت هذه الثورة العربية عمرى، وسيبقى لهذه الثورة العربية عمرى، ولسوف أبقى هنا ما أراد الله لى أن أبقى.. أقاتل بجهدى كله من أجل مطالب الشعب وأعطى حياتى كلها حق الجماهير فى الحياة.. لقد أعطتنى هذه الأمة من

تأييدها ما لم يكن يخطر بأحلامي، وليس عندى ما أعطيه لها غير كل قطرة من دمي.

أيها المواطنون:

لقد دقت ساعة العمل الثورى، وسنعمل بـــإرادة الله، وبـــإرادة الله ســـوف ننتصر.

والسلام عليكم ورحمة الله.